
روايات مصرية للجيب
زهور
62
لا ترحلي
Looloo
www.dvd4arab.com
شريف شوقي
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

# هذه السلسلة ..

عندما تتحول حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحبّ الذى يروى هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب.. وفى لحظات الكراهية.. وفى لحظات الجفاف .. فتشيع عبيرها الفوّاح في ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذي طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف



# ١ ـ أحزان الحب ..

دخل (صلاح) إلى الشرفة ، حيث اختار لنفسه مقعدًا وتطلع إلى السماء ، ونظرة حزن تملأ عينيه .. وكأنه يردد دعاءً صامتًا .. ويبحث بين تلك النجوم المتلألئة التى يزخر بها هذا الكون الممتد أمامه عن منفذ لأحزانه .

كان السكون يغلف المكان ، ويبعث على الراحة والسكينة .. لكن همومه كانت ثقيلة على نحو حرمه منهما ..

لم يشعر بخطواتها وهى تدخل عليه الشرفة .. لتقف خلفه قائلة :

ـ ألم تنم بعد ؟

وانتبه لوجودها قائلًا :

ـ (ميرفت) .. لماذا أنت ساهرة حتى الآن ؟

أجابته قائلة بصوت حنون :

ـ لقد كانت (منى) تبكى فظللت بجوارها ، حتى هدأت واستكانت للنوم ، وعندما مررت بغرفتك وجدتها مضاءة .. فطرقت الباب لكنك لم تجب .. مما جعلنى أتجاسر وأدخل لأطمئن عليك .

قال لها بقلق :
- وما الذى أبكى (منى) ؟
- لا شىء .. لقد رأت كابوسًا مزعجًا .. ولكنى لم أتركها حتى هدأت تمامًا .
- و (رشا) ؟
- اطمئن .. لقد قلقت قليلًا على صوت بكاء أختها .. ثم سرعان ما استسلمت للنوم سريعًا .
قال لها وهو يعود إلى النظر للسماء :
- حمدًا لله على أنك موجودة معنا يا (ميرفت) .. لا أدرى ماذا كان يمكننى أن أفعل لأرعى الطفلتين فى ظروف كهذه ..
قالت له وهى تجلس فى المقعد الذى يجاوره :
- اطمئن ولا تحمل همًا بشأنهما .. فالطفلتان بخير وقد بدأتا فى التأقلم مع الظروف الأخيرة والأليمة التى مررنا بها .
إن ما يقلقنى حقًا هو أنت يا (صلاح) .. إنك تهمل فى عملك وصحتك يومًا بعد يوم .. كما لو كنت قد زهدت الحياة وتعمل على الانتحار تدريجيًا .
نظر إليها قائلًا :
- وما أدراك أننى لم أزهد هذه الحياة بالفعل ؟
قالت له مستنكرة :



- أنت .. أنت الذى يقول ذلك ؟! إننى لا أصدق أذنىَّ . لقد كنت دائمًا مثالًا للرجل القوى الناجح فى عمله .. الواثق من نفسه المقبل على الحياة .
أطلق زفرة قصيرة قائلًا :
- وما فائدة كل هذه الأشياء بعد أن فقدت (سلوى) ؟
صمتت لبرهة من الوقت وقد ارتسمت على وجهها ملامح الأسى الذى أخفته ظلمة المكان .. ثم قالت له بنبرة حزينة جاهدت لإخفائها أيضًا :
- لقد مر اليوم خمسون يومًا على وفاة (سلوى) .. والحياة لن تتوقف بموتها .
هبّ واقفًا وهو ينظر إليها قائلًا بغضب :
- لقد جاء دورى لأقول لك إننى لا أصدق أنك تقولين مثل هذه الكلمات ..
وأردف قائلًا وهو ثائر :
- إنك تتحدثين عن (سلوى) هذه كما لو كانت مجرد امرأة عرفناها ذات يوم .. أو كما لو كانت جارة لنا .. كيف تتعاملين مع موتها بمثل هذا البرود وتريدين منى أن أنساها ؟
نهضت قائلة :
- إن (سلوى) التى تتحدث عنها هى أختى .. بل لم تكن بالنسبة لى مجرد أخت .. بل كانت أختى الصغيرة ..

التى حُرمنا أنا وهى من أبوينا فى مرحلة مبكرة .. لذا كنت أعتبرها بمثابة ابنتى برغم أن فارق السن بيننا لم يكن يزيد على خمس سنوات .. بل إننى كنت أعاملها على هذا الأساس .. كانت (سلوى) أختى وابنتى .. ولقد بكيتها كما لم أبك أحدًا من قبل . ومرارة فراقها لن تفارق قلبى أبدًا ..

لكن الحياة يجب أن تستمر يا (صلاح) .. إن أحزاننا لن تعيدها إلى الحياة .. ولديك ابنتان بحاجة إليك .. ولديك عمل ينتظرك .. ومهام يتعين عليك أن تؤديها .

لذا فإنه يتعين عليك أن تكون أكثر صلابة من ذلك .

وفى تلك اللحظة سمعا صوتًا يأتى من خلفهما قائلًا :

- أن (ميرفت) على حق يا (صلاح) .

استدار (صلاح) سريعًا .. قائلًا للسيدة المسنة التى دخلت إلى الشرفة :

- أمى .. لماذا أنت مستيقظة حتى الآن ؟ كان يتعين عليك أن تكونى الآن نائمة فى الفراش بعد أن تناولت دواءك .

قالت له أمه وهى تنظر إليه بأسى :

- وكيف يأتينى النوم .. وأنا أراك فى تلك الحالة ؟ إن نومى أصبح قلقًا بسبب هذه الحالة التى أراك عليها .



تنهد (صلاح) قائلًا :

- يبدو أننى قد أصبحت مصدر قلق الجميع هنا .

قالت له الأم وهى تحدق فى وجهه :

- وكيف يتسنى لنا ألا نقلق عليك ؟

- إن الأمر ليس بيدى .. أنتم تعرفون مقدار حبى لـ (سلوى) .. لم تكن بالنسبة لى مجرد زوجة .. بل كانت حبيبتى .. الإنسانة الوحيدة التى أحببتها .

وكانت هى أيضًا نعم الزوجة والحبيبة .

كانت كل شىء فى حياتى .

قالت (ميرفت) :

- إننا لا نقول لك أن تنساها .. ولكن لا نريد منك أن تنهار على هذا النحو الذى تبدو عليه .. فهذا لن يفيد بشىء .

إن والدتك وابنتيك يحتاجون منك أن تستعيد توازنك .. وأن تنزع الأحزان من هذا المنزل .

قالت له أمه بحنان وهى تمسك بساعديه :

- نعم يا بنى .. تغلب على أحزانك من أجل نفسك وابنتيك ومن أجلى، بل ومن أجل (ميرفت) أيضًا .. إنها تشاركنا نفس المصاب .. وبرغم ذلك تحاول مقاومة حزنها على أختها .. وتظهر صلابة حقيقية من أجل الطفلتين ..

أمسك (صلاح) بيدى أمه قائلًا :

- سأحاول يا أمى .. سأحاول .

* * *

تهلل وجه (ميرفت) وهى ترى (صلاح) فى اليوم التالى، وقد ارتدى ثيابه وحلق ذقنه وبدا فى حالة من الحيوية والنشاط، كالتى كان يبدو عليها دائمًا من قبل .. وخاصة قبل وفاة زوجته .

حيته قائلة :

- صباح الخير .. إننى سعيدة لأن أراك وقد استعدت صورتك السابقة على هذا النحو .

رسم ابتسامة على وجهه قائلا :

- صباح الخير يا (ميرفت) .. أين الطفلتان ؟
- مازالتا نائمتين .. لم أكن أظن أنك ستصحو فى ساعة مبكرة هكذا .
- يتعين علىّ أن أذهب لعملى بعد ساعة من الآن .. هل تستطيعين إيقاظهما وإعداد الفطور لنفطر معًا ؟

قالت له بفرحة حقيقية :

- سأفعل ذلك فى أقل من نصف ساعة .

ثم أردفت قائلة :

- لقد أحضرت لك الجرائد .. اطلع على الجريدة ريثما أنتهى من إيقاظ البنتين وإعداد الفطور ..
- أما زالت أمى نائمة ؟
- نعم .. هل أوقظها ؟



- لا داعى لذلك .. فهى لم تحصل على قسط وافر من النوم بالأمس .
- أعتقد أنها لن تتبرم إذا أيقظتها الآن .. بل ستكون سعيدة للغاية وهى تراك على تلك الحال .
- بل دعيها نائمة .. ولكن تيقنى من أنها تناولت إفطارًا جيدًا .. ولا تنسى الدواء .. فأنا أرى أن صحتها ليست على ما يرام هذه الأيام .
- كن مطمئنًا .. لقد كانت قلقة بشأنك .. وعندما تعرف أنك قد عدت لعملك وأنك قد تجاوزت المحنة .. فسوف تتحسن صحتها كثيرًا .
- حسن هل ستقضين الوقت كله فى الحديث عن تبدل حالتى وتجعليننى أتأخر عن عملى ؟

قالت له (ميرفت) وهى تسرع الخطى نحو السلم المؤدى إلى الطابق العلوى :

- كلا .. سترى أن كل شىء سيكون جاهزًا خلال نصف ساعة .

واختار (صلاح) لنفسه مقعدًا بالقرب من المائدة، حيث أخذ يتصفح الجرائد، لكن سرعان ما وجد نفسه غير قادر على التركيز فيما يقرأ .

لقد كانت صورة (سلوى) تطل عليه فوق صفحات الجريدة التى يقرؤها بوجهها الجميل وابتسامتها المشرقة .

كانت تجلس هنا دائمًا بجواره ، وهو يطالع جرائده ، لتقدم له قدح الشاى وفى عينيها تلك النظرة الحانية التى أصبح الآن يفتقدها .

وأغمض عينيه قائلًا لنفسه :

ـ كلا .. يتعين علىّ أن أتوقف عن هذا .. يجب أن أتوقف عن استعادة الذكريات والاستسلام للأحزان الآن .

استقبل (صلاح) ابنتيه فاتحًا ذراعيه ، وهو يضمهما إلى صدره ويجلسهما على ركبتيه قائلًا :

ـ كيف حال طفلتىّ الجميلتين ؟

قالت له (منى) :

ـ إننى سعيدة لأنك ستفطر معنا اليوم يا أبى .

ابتسم قائلًا لابنته الأخرى :

ـ وأنت يا (رشا) ؟

ـ أنا مسرورة لأننى أراك اليوم تبتسم .

وقالت (منى) :

ـ إننا نحبك جدًا يا أبى .

قال فى تأثر :

ـ وأنا أيضًا أحبكما كثيرًا .

ابتسمت (ميرفت) وهى تتأملهم قائلة :

ـ هيا لتناول الإفطار .



أمسك (صلاح) بيدى ابنتيه قائلًا :

ـ هيا بنا لنفطر معًا .

سألته (رشا) وهى تجلس إلى المائدة قائلة :

ـ متى تأتى ماما من سفرها لتجلس معنا إلى المائدة كما اعتادت أن تفعل ؟

ونظر إليها أبوها نظرة حزينة دون أن يقوى على قول شىء .

بينما سارعت (ميرفت) للتغلب على الموقف قائلة :

ـ هيا يا حبيبتى .. خذى ذلك الساندوتش .. ولا تتحدثا كثيرًا لأن بابا مستعجل ، ووراءه أعمال كثيرة اليوم .

تناول (صلاح) طعامه فى صمت بينما كانت عينا (ميرفت) ترقبانه باهتمام وهى تعمل على إطعام الطفلتين .

انتبه (صلاح) إلى أنها لا تأكل شيئًا .. فسألها قائلًا :

ـ لماذا لا تأكلين ؟

ابتسمت قائلة :

ـ لا أشعر برغبة فى تناول الطعام الآن .. سأتناول طعامى مع الحاجة والدتك عندما تستيقظ .

نظر إليها قائلًا :

ـ يتعين عليك أن تعتنى بصحتك أكثر من هذا .. فأنا أراك تهزلين .

لم تستطع أن تقاوم ابتسامة ارتسمت على وجهها ، وقد سرها أن يبدى هذا الاهتمام بها .. قائلة :

ـ سأعمل على ذلك .

نهض قائلًا :

ـ سأنصرف الآن .

ـ لكنك لم تأكل كما يجب .

ـ لقد أكلت .. الحمد لله .

ـ سأعد لك الشاى .

ـ لاداعى لذلك .. سأتناوله فى المكتب .

وانحنى ليقبل الطفلتين .. ثم نظر إليها قائلًا :

ـ لاتنسى دواء الحاجة .

ـ اطمئن لن أنسى ذلك .

رافقته حتى الباب وهى تشيعه بنظراتها .. قائلة :

ـ تصحبك السلامة .

توقف للحظة لدى الباب وهو يتأملها .

كانت فى عينيها تلك النظرة .. نفس النظرة التى كان يراها فى عينى زوجته .

إن (ميرفت) لا تشبه أختها كثيرًا .. فهى أقل جمالًا وأكثر نحافة .. لكن عينيها كانت تشبهان عينى (سلوى) على نحو غير عادى ، وحتى تلك النظرة فى هاتين العينين .



كما أن مرافقتها له حتى الباب تذكره بزوجته .. فقد كانت غالبًا تتصرف على هذا النحو عندما يحين موعد خروجه إلى عمله .

قالت له (ميرفت) وقد أربكتها نظراته إليها :

ـ هل هناك شىء ؟

قال لها وهو يتخلص من شروده :

ـ كلا .. ولكن لاداعى لمرافقتى حتى الباب على هذا النحو .

أدركت (ميرفت) السبب الذى يدعوه إلى ذلك القول .. فاعتذرت قائلة :

ـ آسفة .. لن أفعل ذلك فيما بعد .

وأحسَّ بأنه كان جافًا بعض الشىء معها .. فقال لها هامسًا وهو يلقى نظرة على طفلتيه أولًا :

ـ (ميرفت) .. أنت تعرفين ...

قاطعته قائلة لتجنبه الاعتذار :

ـ إننى أفهم كل شىء .. لاداعى لأن تشرح لى شيئًا .

انصرف (صلاح) فى حين بقيت هى واقفة أمام الباب للحظة .. وهى تقول لنفسها :

ـ أعرف أنك تحاول التغلب على معاناتك .. لقد أحببتها دائمًا .. وهى كذلك أحبتك ، ولكن ما لم يعرفه كلاكما هو أننى أيضًا أحببتك .

لقد كان ضميرى يؤاخذنى بسبب ذلك .. ولكن ما كان يخفف من وطأة الإحساس بالذنب عن نفسى ، هو أننى لم أسمح لهذا الحب بأن يعلن عن نفسه قط .. وحرصت دائمًا على إخفائه .

نعم يا (صلاح) .. لقد أحببتك وتمنيتك زوجًا لى .. قبل أن تكون زوجًا لـ (سلوى) .

لكنك كنت دائمًا منجذبًا إليها .. ولم تكن ترانى قط .. وحمدًا لله لأننى لم أشعر يومًا بالحقد أو الكراهية تجاه أختى من أجل ذلك طوال حياتها .

ربما كانت هناك بعض مشاعر الغيرة التى لم أقو على مقاومتها على الرغم منى ، ولكن لمْ أحقد عليها أو أكرهها قط .. بل ظللت دائمًا أحبها كأختى وابنتى .. وقد تزوجت يا (صلاح) من أختارها قلبك .. ولم يكن لى نصيب فى هذا الاختيار ..

وانتبهت (ميرفت) من أفكارها على صوت الطفلتين وهما تتعلقان بثيابها وقد قالت لها إحداهما :

ـ ماما (ميرفت) .. ألن تأتى لمشاركتنا اللعب ؟

ابتسمت لهما وهى تمسك بأيديهما الصغيرة قائلة :

ـ بلى يا حبيبتى هيا بنا لنلعب معًا .

★ ★ ★



## ٢ ـ أين أنتِ ؟

أخذ (صلاح) يعمل فى نشاط لإنهاء الكثير من الأعمال التى كانت تنتظر وجوده .. وقد اندهش الموظفون العاملون فى شركته لهذا التغير الذى طرأ عليه ، فمنذ أسبوعين فقط كان هذا الرجل يبدو وكأنه قد زهد الدنيا بأسرها .

وبينما هو منهمك فى عمله دخل عليه المدير الإدارى للشركة وصديقه (مصطفى) .. الذى ابتسم وهو ينظر إليه قائلًا :

ـ يسعدنى أن أراك على هذه الصورة .

رفع (صلاح) عينيه عن الأوراق الموضوعة فوق مكتبه قائلًا :

ـ أهلًا يا (مصطفى) .. أين كنت ؟.. لقد بحثت عنك طويلًا ..

ـ كنت أتفق على التوريدات الجديدة للشركة مع العملاء .

- التوريدات الجديدة ؟.. ألم يكن من المفترض أن أنهى هذا الأمر الأسبوع الماضى ؟

- بلى .. ولقد أخبرتك بذلك .. ولكنك رفضت التحدث فى الأمر بل رفضت حتى أن تصغى إلىّ .. مما اضطرنى إلى معالجة الأمر بنفسى .

- أشكرك يا (مصطفى) .. لو لم تفعل ذلك لكان هذا يعنى إفلاس الشركة .. لا أدرى ماذا كنت سأفعل بدونك ؟

- دعك من هذا .. المهم أنك قد عدت إلينا .. وأصبحت بخير .

- لقد وجدت أن فى العمل ما يخفف عنى كثيرًا من وطأة الأحزان .

- هذه دلالة طيبة .. المهم أن تدرك الآن أننا بحاجة إلى كثير من الجهد لتعويض خسارة الشركة ، التى مررنا بها فى الفترة الأخيرة .

- اطمئن .. سنعوّض ما فاتنا بإذن الله .

- وماذا عن ابنتيك ؟ هل هما بخير ؟

- هذا ما يشغل تفكيرى .. إنهما لا يدركان حتى الآن حقيقة ما حدث لأمهما ، ويظنان أنها مسافرة .. وإن كنت أرى أن (منى) تحسّ بموت أمها .



عاجلًا أو آجلًا يتعين مواجهتهما بالحقيقة .. وإن كنت لا أعرف كيف سيتسنى لى أن أفعل ذلك .

من الصعب أن تواجه طفلتين صغيرتين بأن أمهما اللتين كانتا تحبانها وتتعلقان بها قد ماتت .

- بعد فترة من الوقت ستتأقلمان مع هذه الحقيقة التى فرضها القدر .. إن ما يتعين عليك أن تفكر فيه حقًا .. هو توفير أسباب الرعاية والعناية اللتين تحتاجهما طفلتان فى هذه السن الصغيرة .

- إن هذا أيضًا هو أحد الأشياء التى تشغل تفكيرى وتثير قلقى. فأنت تعلم أن (منى) لم تتجاوز الخمس سنوات ، و (رشا) ثلاث سنوات .. وطفلتان فى هذا العمر كانتا فى أمس الحاجة إلى وجود أمهما لتتولى شئون رعايتهما وتربيتهما .

ولكن بعد أن رحلت (سلوى) .. لا أدرى كيف سيمكننى أن أحمل هذا العبء بمفردى .. خاصة مع ظروف عملى .. وأمى سيدة مسنة ومريضة كما تعرف ، ولا يمكن أن أعهد إليها بهذه المسئولية .

أعتقد أننى سأكون بحاجة للبحث عن مربية خلال الفترة القادمة لأعهد إليها بهذه المسئولية .

- من الصعب أن تجد مربيات يمكن أن تطمئن إلى توليهن مثل هذه المسئولية .

- لا سبيل أمامى سوى ذلك .. إن البنتين تحتاجان إلى وجود أم بديلة .

- ربما إذا تزوجت ....

وقاطعه (صلاح) قائلًا فى غضب :

- (مصطفى) !

ثم نهض مغادرًا مقعده وهو يقول بلهجة حادة :

- أتحدثنى عن الزواج ؟.. وزوجتى لم يمر شهران على وفاتها ؟

ارتبك (مصطفى) قائلًا :

- آسف ... إننى لم أعن أن تتزوج الآن .. بل أتحدث عن المستقبل .

- لا الآن .. ولا فى المستقبل .. أننى لن أجد ما يعوضنى عن (سلوى) ولن توجد من تحل محلها أبدًا .. ومن فضلك لا تحادثنى بهذا الشأن مرة أخرى .

ونهض (مصطفى) ليربت على كتفه وهو يعمل على تهدئته قائلًا:

- حسن .. دعنا ننس الأمر .. ولاداعى لهذا الانفعال .



ثم قال له بعد برهة من الصمت :

- ولكن ماذا عن خالتهما ؟

تطلع (صلاح) إليه قائلًا :

- (ميرفت) !

- نعم .. إننى أعرف أن البنتين تحبانها للغاية ، وأنهما متعلقتان بها ، كما أنها هى الأخرى متعلقة بهما ، وتحبهما كما لو كانتا ابنتيها . بل إنهما بحسب علمى وبحسب ما رأيته فى منزلك بنفسى كانتا أكثر التصاقًا بها من أمهما .

- إننى لا أنكر أن (ميرفت) تحب البنتين وأنهما يحبانها أيضًا حتى أنهما كانا يسميانها دائمًا ماما (ميرفت) مع وجود أمهما .

أيضًا فإن ( ميرفت ) كانت لنا خير سند وعون فى تربية البنتين ، وهى تعرف كل صغيرة وكبيرة بشأنهما .. ولكن ...

وقاطعه صديقه قائلًا :

- ولكن ماذا ؟ لا توجد مشكلة إذن .. ستبقى الطفلتان فى رعاية خالتهما .. ولن تجد من يعتنى بهما ويرعاهما خيرًا منها .. إنها الوحيدة التى تصلح أن تكون أمًا بديلة لـ (منى) و (رشا) ..

- ولكن كيف سيمكننى أن أطلب من (ميرفت) البقاء معنا لتولى هذا العبء بعد رحيل أختها عن المنزل ؟

- إنها ستبقى كما كانت من قبل .. ألم تكن مقيمة معكما منذ خمس سنوات مضت، وعندما كانت (منى) فى شهورها الأولى ؟ ما الذى يدعوها إلى الرحيل إذن .. خاصة أن أبويها كما أعلم متوفيان .. وليس لها أقارب آخرون، وهذا سبب إقامتها معكم فى المنزل .

- لكن الأمر كان مقبولًا ومبررًا مع وجود أختها .. أما الآن فإن إقامة فتاة مثلها فى المنزل معنا .. ربما بدا أمرًا غير لائق أو مقبول .

- إن غير اللائق أو المقبول هو أن تطلب من فتاة مثلها .. لاتمارس عملًا وليس لها مورد دخل .. كما أنه ليس لها أقارب تحتمى بهم أو منزل تستقر بين جدارنه ، أن تغادر منزلك الآن بعد وفاة أختها. إن هذا يبدو أشبه بطردها من منزلك .

أو كأنك تقول لها .. إنه يتعين عليك الآن أن ترحلى لأنه لم تعد هناك حاجة إلى وجودك بعد أن فقدت زوجتى .

- إن خالها ما زال موجودًا على أية حال .. ويمكنها أن تذهب إليه فى الصعيد .. كما أننى لن أتخلى عنها ماديًا



وإنما سأمدها بمورد مادى كل شهر ، فهى على كل حال أخت زوجتى وبمثابة شقيقة لى .. كما أنها كانت خير عون لنا فى تربية الطفلتين .

- وما أدراك أنها تريد الذهاب إلى الصعيد .. أو أنها ستلقى ترحيبًا من خالها هذا وهو الذى لم يحاول أن يسأل عنها أو عن أختها منذ سنوات طويلة .. إنك لن ترغمها على أمر لاتريده .

- وما أدراك ؟ ربما أرادت ذلك .

- افهمنى يا (صلاح) .. إن هذه الفتاة هى أصلح واحدة لتولى عبء رعاية البنتين .. وهى ستقوم بهذا الدور كما كانت تقوم به من قبل .. لأنه أمر غير جديد عليها .

كما أنها أيضًا خالتهما وهى تحبهما .. وهما يحبانها .. ولن تجد من يخاف عليهما ويرعاهما مثلها .

إنها الوحيدة التى تستطيع أن تحل لك هذه المشكلة وتجعلك مطمئنًا على البنتين .. والذهاب إلى عملك والقيام بمسئولياتك وأنت واثق من أنهما فى أيد أمينة .

- ولكن الشكليات .

- أية شكليات ؟.. إنك لا تقيم فى هذا المنزل بمفردك ..

بل معك أمك ومعك (أم عبده) الخادمة التى تتولى شئون المنزل .

كما أن أحدًا لن ينكر عليك استضافة أخت زوجتك .. التى تعد بمثابة شقيقتك ـ كما تقول ـ فى منزلك .. لتقوم على رعاية ابنتيك خاصة مع عدم وجود عائل لها .. بدلًا من إخراجها من هذا المنزل، وإعلان انتهاء مبرر وجودها بوفاة الزوجة .

ـ ألا ترى .. أننى بذلك أستغلها ؟.. وأننى أسعى لإبقائها فى المنزل من أجل تربية ابنتىَّ فقط .

ـ إنك تقدم لها الشىء الذى تتمناه وتحبه .. وأعتقد أنها ستكون تعيسة لو ابتعدت عن الطفلتين .. فهى تحبهما وهما يحبانها كما تقول .

وسيكون من القسوة أن يفقدا خالتهما بعد أن فقدا أمهما خلال شهور قليلة .. وأن تحرمها هى الأخرى من البنتين بعد أن حرمت من أختها .. مع كل ما تحمله لهما من حب .. وما ترى فيهما من تعويض عن فقدها .

ـ ولكن (ميرفت) قد قاربت الآن الثلاثين عامًا .. ولابد لها أن تتزوج ويكون لها أسرة ومنزل خاص بها .



ـ عندما يحين موعد زواجها .. فلا أعتقد أنك ستقف عقبة فى طريقها ، ووقتها يمكن أن تفكر فى بديل آخر لرعاية الطفلتين ، اما الآن .. فلابديل أمامك سوى الاعتماد عليها فى مشاركتك عبء هذه المسئولية .

وفكر (صلاح) قليلًا .. ثم قال :

ـ حسن .. سأسألها أولًا إذا كانت تفضل البقاء مع البنتين أم ترغب فى ترك المنزل .. وسأترك الخيار لها .. أيضًا لابد أن أشرك أمى فى ذلك .

ـ إننى واثق من أنها ستفضل البقاء مع البنتين .. كما أن والدتك لن تمانع :

ـ والآن دعنا نعد إلى عملنا .

★ ★ ★

عاد (صلاح) إلى منزله منهك القوى .. فقد أرهق نفسه فى أعمال كثيرة تأخرت خلال غيابه .

وما إن فتح باب المنزل حتى عاودته الذكرى .

فقد كانت زوجته دائمًا تترقب وصوله .. وتسرع لملاقاته حين عودته بابتسامتها الخلابة وحيويتها المتدفقة ، لتنزع عنه متاعب اليوم وتطلعه على برنامج يومها مع البنتين .

وبقى واقفًا مكانه فى الردهة .. وقد أطلق زفرة قصيرة .. لقد أحس بأنه غير قادر على مقاومة افتقاده لها .. فتهالك على أول مقعد قابله وهو يقول لنفسه :

ـ لماذا فارقتنى بهذه السرعة ؟كم أنا بحاجة إليك وإلى استقبالك الذى اعتدته كلما حضرت إلى المنزل .

إلى تلك الابتسامة الخلابة على وجهك واحتوائك لمتاعبى .

إننى أفتقدك بشدة .. وما زلت بحاجة إلى رعايتك أنا وابنتاك .. ووجد عبرة تنحدر فوق وجنتيه على الرغم منه .. فسارع بمسحها فى الحال ، وهو يرى أمه قادمة نحوه .

ابتسمت حين رأته قائلة :

ـ (صلاح) .. متى حضرت ؟

أجابها قائلًا :

ـ إننى حضرت الآن .. ما أحوال صحتك يا أمى ؟

ربتت الأم على كتفه بحنان قائلة :

ـ بخير يا بنى .. لقد سعدت اليوم عندما اخبرتنى (ميرفت) أنك قد عدت لعملك .

ـ هناك شىء أريد أن أتحدث معك بشأنه يا أمى .

ـ ما هو ؟



ـ ليس هنا .. تعالى معى إلى حجرة المكتب لنتحدث بمفردنا .

ونظرت إليه أمه بفضول ، وقد أحست بأنه يريد أن يطلعها على أمر هام لما رأته من جدية وقلق فى عينيه ..

أغلق باب الحجرة خلفه قائلًا :

ـ أمى .. إننى أشعر بقلق بشأن الطفلتين .

ـ إننى أقدر قلقك يا بنى .

ـ إنهما بحاجة لمن يرعاهما .

ـ أعتقد أن خالتهما تقوم بذلك على الوجه الأكمل .

ـ هذا هو ما أردت أن أحادثك بشأنه ... لقد كنت أفكر فى إحضار مربية .. لكن هذا الأمر ليس بالسهولة التى تصورتها .. كما أننى بحاجة لما هو أكثر من التربية والرعاية لابنتىّ ، خاصة وهما فى هذه السن المبكرة وبعد أن حُرما من حنان أمهما .

إنهما بحاجة إلى شخص يعوضهما بعضًا من هذا الحب والحنان ، حتى لاتشعران بالنقص تجاه هذه الأشياء المعنوية التى خلفتها وفاة أمهما .

وهذه هى الأشياء التى لاتستطيعين أن تجزمى بالحصول عليها من أية مربية جديدة يمكن استئجارها .

لذا فأنا بحاجة إلى من يقنع خالتهما بالاستمرار فى رعايتهما لفترة من الوقت ، حتى يمكن أن أجد مثل هذه المربية .

- أعتقد أن (ميرفت) ليست بحاجة إلى من يقنعها بذلك .. فهى لم تبد أية رغبة فى مغادرة المنزل بعد وفاة أختها .. كما أن تعلقها بالطفلتين لا يقل بأى حال من الأحوال عن تعلق المرحومة أمهما بهما .

- ولكنى لا أستطيع أن أجزم بأنها لن تفكر فى مغادرة منزلنا بعد مرور فترة من الوقت .. ولا أريد أن أبقى قلقًا بهذا الشأن .

إننى بحاجة إلى تأكيد منها بأنها ستستمر فى رعاية ابنتىَ خلال العامين القادمين على الأقل .. وأنها لو فكرت فى عدم الاستمرار فى تحمل هذه المسئولية فعليها أن تخطرنى بذلك قبلها بفترة زمنية كافية حتى أستطيع أن أدبر أمرى .

- ولِمَ لاتسألها أنت ذلك بنفسك ؟
- بصراحة .. أننى أشعر بالحرج تجاهها .
- أنت تعرف أن (ميرفت) تقدرك وتحترمك .



- ولهذا السبب لاأريد أنا أن أتحدث إليها فى هذا الشأن ؛ فأنا لا أريد أن تلتزم بذلك حرجًا منى .. أو تحت أى تأثير معنوى من جانبى .

إننى أريد أن تقرر ذلك بحرية كاملة من جانبها .

- حسن .. سأفعل .. أعتقد أنها لن ترفض البقاء معنا ورعاية ابنتى أختها .

- أمى .. إن (ميرفت) تحمل شهادة متوسطة .. وقد فضلت التخلى عن عملها والبقاء معنا فى هذا المنزل بناءً على طلب (سلوى) بعد أن تنازلت لها عن الريع المتواضع الذى كانت تحصل عليه من المنزل الذى ورثتاه عن أبيهما بعد وفاته .. ولم تكن بحاجة إلى مقاسمتها إياه .

لذا فإننى أريد أن تعرضى عليها استعدادى لدفع أى راتب شهرى مقابل استمرارها فى رعاية الطفلتين .

قالت له الأم مستنكرة :

- ماذا تقول يا (صلاح) ؟ إن هذا سيمثل إهانة جارحة بالنسبة لها .. وأنت تعرف مدى حساسية (ميرفت) .. واعتزازها بنفسها .. أتريد أن تدفع لها ثمن رعايتها لابنتى أختها ؟

- لقد كنت أعنى ....

قاطعته أمه قائلة :

ـ إياك أن تذكر شيئًا كهذا أمامها .

ـ كما ترين يا أمى .. المهم أننى أريد أن أطمئن إلى أن ابنتىّ ستلقيان الرعاية الواجبة حتى يمكننى أن أتدبر أمرى .

ـ أعتقد أن ما ستحتاج إليه فى القريب العاجل هو وجود زوجة فى المنزل .

قال لها (صلاح) باستياء :

ـ أنت أيضًا يا أمى .. كيف يمكننى أن آتى إلى هذا المنزل بزوجة لتحل محل (سلوى) ؟

ـ أنت تعرف مدى حبى لزوجتك الراحلة وأننى حزنت عليها كما لو كانت ابنتى .. لكن الحياة يجب أن تستمر يا بنىّ ... وأنت لن تعيش بقية حياتك كراهب .. وستكون بحاجة لزوجة ترعاك وترعى ابنتيك .. وهو أمر لن تعوضه لك أية امرأة أخرى تقوم بدور المربية لهما .

ـ وما أدراك أن الزوجة التى يمكن أن أختارها ستكون أمًا حنونًا لابنتىّ ؟



ـ أنا لا أطلب منك أن تتسرع فى اختيارك .. عليك أن تدقق .. وتحسن الاختيار قبل أن تقدم على هذا الأمر .. ولكن عليك أيضًا ألا تطرحه من تفكيرك بدعوى الوفاء لزوجتك .. فالوفاء لها لا يعنى أن تظلم نفسك وإنما يعنى أن توفر لحياتك وحياة ابنتيك ما تستوجبه من رعاية وعناية .

وتنهد (صلاح) قائلًا .. ربما ليحسم الأمر مع أمه ويمنعها من الاستمرار فى مناقشته فى هذا الأمر :

ـ على كل حال .. هذا أمر سابق لأوانه .

* * *



## ٣ ـ لن أرحل عنك ..

أسرعت (رشا) لتحتضن أباها وهى تريه لعبتها الجديدة قائلة :

ـ بابا .. ما رأيك فى هذه اللعبة الجديدة ؟

ابتسم لها قائلًا وهو يمسح على شعرها بحنان ، بينما عيناه ترقبان لعبتها :

ـ جميلة جدًا .. من أحضرها لك ؟

أجابته قائلة وهى تتعلق بعنقه :

ـ ماما (ميرفت) .

كانت (ميرفت) قادمة فى إثرها وهى تضع يدها فى حنان على كتف ابنته الثانية (منى) حيث استقبلته قائلة :

ـ حمدًا لله على سلامتك .

أنزل طفلته إلى الأرض قائلًا :

ـ الله يسلمك يا (ميرفت) .. كيف حالك وحال البنات ؟

ـ بخير .. هل كانت رحلتك موفقة ؟

ـ نعم .



وتقدم ليحمل (منى) بين ذراعيه قائلًا لها :

ـ كيف حال جميلتى الصغيرة ؟

قالت له الطفلة فى براءة :

ـ لقد أوحشتنا كثيرًا يا أبى ..

ابتسم قائلًا :

ـ وأنت أيضًا يا حبيبتى .. ولو أنى لم أغب عنكم سوى يوم واحد .. ولكنى أفتقدتكم كثيرًا .

ـ إذن خذنا معك فى الرحلة القادمة .

ـ يا حبيبتى .. إننى أسافر لإنجاز بعض الأعمال وليس للنزهة .

ـ ولكنك توحشنا كثيرًا .

وأمنت (رشا) على كلام أختها قائلة :

ـ نعم .. إنك توحشنا كثيرًا .. وأنا كنت خائفة .. أن تسافر ولا تعود إلينا مرة أخرى كما فعلت أمى .

وتبدلت أساريره لدى سماعه لهذه العبارة .. فأنزل (منى) إلى الأرض .. فى حين سارعت (ميرفت) لتدارك الموقف قائلة بلهجة مداعبة :

ـ هكذا .. إذن فأنتما لا ترغبان فى البقاء معى .. وتفضلان السفر مع بابا .

قالت لها (منى) فى براءة :

ـ بل سنأخذك معنا أيضًا إلى أى مكان سنذهب إليه ..

وأردفت قائلة لأبيها :

ـ أليس كذلك يا أبى ؟

لم يعقب الأب على كلام ابنتيه .. فقد بدا متأثرًا بما ذكرته ابنته عن رحيل أمها .

بينما قالت (ميرفت) لهما :

ـ والآن .. هيا إلى حجرتكما للنوم .

ـ إننا نريد أن نبقى مع بابا قليلًا .

ـ إن بابا متعب .. ويريد أن يستريح الآن ، وسوف تقضيان معه وقتًا أطول غدًا .

سألته (رشا) قائلة :

ـ حقًا يا أبى ؟

ـ ربت على ظهرها قائلًا :

ـ نعم يا حبيبتى .

ـ ولكنى أريد أن أريك لعبتى الجديدة التى أحضرتها لى ماما (ميرفت) كما فعلت (رشا) :

ـ هل أحضرت لك ماما (ميرفت) لعبة جديدة أنت أيضًا ؟

ـ نعم .. دمية جميلة للغاية .. هل أريك إياها ؟



ـ ليس الآن يا (منى) .. لقد قلت لك أن بابا متعب ويريد أن يستريح فلتؤجلى ذلك للغد .

والآن هيا إلى النوم .. وسوف ألحق بكما فى حجرتكما لأرى إذا كنتما فى فراشكما أم لا .

ـ هل ستكملين لنا القصة التى كنت ترويتها لنا بالأمس؟

ـ نعم .. ولكن بعد أن تأويا إلى فراشكما أولًا .

بعد انصرافهما سألها قائلًا :

ـ هل تناولا عشاءهما ...

ـ نعم .

ـ وماذا عن أمى ؟

ـ لقد تناولت هى الأخرى عشاءها ، وأوت إلى فراشها منذ ساعة .. كما قمت بإعطائها الدواء قبل أن تذهب إلى غرفتها .

حل رباط عنقه قائلًا :

ـ أشكرك على عنايتك بالجميع فى أثناء غيابى .

ـ لست محتاجة لكى تشكرنى على شىء .

نظر إليها (صلاح) بامتنان قائلًا :

ـ لكنك تقدمين الكثير لنا هنا .

ـ لا تبالغ .. فأنا لا أعد نفسى غريبة عنكم هنا .

ـ بالطبع .. وهذا ما يجعلنى أتساءل عما إذا كانت والدتى قد حدثتك فى شأن بقائك معنا هنا .

ـ نعم .. ولم أكن بحاجة لمن يحادثنى فى هذا الشأن .. فما كنت لأرحل عن هنا .. وأترك البنتين وهما فى هذه المرحلة الحرجة .. إلا إذا لم تكن ترغب فى ذلك .. فلا تنس أننى خالتهما وأنهما بمثابة ابنتىَ .

ـ أشكرك مرة أخرى .

ـ هل أعد لك العشاء ؟

ـ لقد تناولت عشائى فى القطار .. إننى أفضل الذهاب إلى غرفتى لأحصل على قسط من النوم .

ـ لقد رتبتها لك بنفسى هذا الصباح .

ـ لم تكونى بحاجة لفعل ذلك .. فهذا عمل (أم عبده) الخادمة .

ـ لقد كنت أشعر بفراغ وفكرت فى أن أرتب غرفتك بنفسى .. أرجو ألا يكون فى ذلك تطفل منى .

ـ أرجو ألا تفعلى ذلك مرة أخرى .

ـ إذا كان هذا ما تريده .

ـ وتلك اللعب التى أحضرتها للبنتين .. إن لديهما الكثير من اللُعب ، ولم يكن هناك ما يدعو لكى تكلفى نفسك على هذا النحو بشراء تلك الدمى .



ـ ولكنى أحب أن أفعل ذلك .. وشراء بعض اللعب للبنتين لا يكلفنى الكثير .

تأملها (صلاح) قائلًا :

ـ إنها بالفعل .. الإنسانة التى تصلح لرعاية ابنتيه .. فهى حنون وتحبهما حبًا حقيقيًا .

إن (ميرفت) أقل جمالًا بكثير من أختها .. لكنها تحمل قلبًا طيبًا .. وطباعًا هادئة وبها الكثير من الصفات الجميلة .

وتوجه إلى غرفته قائلًا :

ـ تصبحين على خير يا (ميرفت) .

تبعته بنظراتها وهى تقول بصوت خافت :

ـ تصبح على خير يا (صلاح) .

زادت الأيام التالية من تعلق (ميرفت) بالطفلتين ومن تعلقهما بها .. وتلاشى مع الوقت إحساسهما بفقدان أمهما ، مع ما تغمره بهما (ميرفت) من مشاعر الحب والحنان .. حتى أنهما كانتا تأبيان أن تناما إلا بجوارها .

واعتادت أن تنام والبنتان بين أحضانها .

ولم يكن يضايق (ميرفت) إلا سخافات (عمر) ابن خالة (صلاح) كلما حضر إلى المنزل وحاول أن يفرض عليها دعاباته السمجة .

لقد اعتادت أن تلقى هذه السخافات من ( عمر ) من قبل .. لكنها ازدادت فى الآونة الأخيرة .. خاصة بعد وفاة أختها .

ففى أحد الأيام وجدته يعترض طريقها قائلًا :

ـ هل تعرفيــن أنك تزداديــن جمــالًا مع الأيــام يا ( ميرفت ) ؟

قالت له بامتعاض :

ـ أشكرك .. إننى أعرف أننى لست جميلة .

ـ من قال هذا ؟ لماذا تبخسين قدر نفسك ؟

ـ حسن إذا كنت ترانى جميلة فإننى أشكرك على هذا .. والآن هل تسمح لى ؟

ـ إلى أين ؟

ـ سأشترى بعض الأشياء للبنتين .

ـ إذن يمكننى أن أصحبك فى سيارتى إلى المكان الذى تريدينه .

ـ متشكرة .. إن ما أحتاج إليه لا يستدعى ركوب سيارة .

ـ إذن .. لمَ لا تبعثين بأحد ليحضره لك .

قالت له ( ميرفت ) بضيق :

ـ لأننى أفضل أن أشترى تلك الأشياء بنفسى .



ـ ( ميرفت ) .. لماذا تعاملينني بهذه الطريقة ؟

ـ إننى لا أرى أننى أعاملك بطريقة خارجة عن المألوف .

ـ ولكنى كنت أفضل أن تكون طريقتك معى خارجة عن المألوف .

نظرت إليه بغضب قائلة :

ـ ماذا تعنى ؟

ـ إننا يعرف بعضنا البعض منذ فترة طويلة .. ولكنك لا تسمحين لى حتى أن نتعامل كأصدقاء .

ـ هذا لأن تصرفاتك ليست تصرفات أصدقاء .

ـ إننى أحاول أن أتقرب إليك .. لكنك لا تمنحيننى الفرصة لذلك .

ـ بعد إذنك .. إننى أسمع صوت ( رشا ) تنادينى .

ـ ألا تفكرين فى شىء آخر .. عدا البنتين ؟

ـ إنهما ابنتا ابن خالتك الذى يعد بمثابة أخيك .. إن لم تكن قد نسيت .

ـ لكنى أرى أنه من الظلم لك أن تظلى دائمًا تقومين بدور المربية .

حدجته ( ميرفت ) بنظرة حادة .. قائلة :

- إننى أعشق القيام بهذا الدور .

وفى تلك اللحظة حضرت والدة (صلاح) حيث نظرت الى (عمر) قائلة :

- أهلًا يا (عمر) .. متى حضرت ؟

تبدلت لهجته وهو يقول لها :

- أهلًا يا خالتى .. لقد حضرت منذ لحظات .

استأذنت (ميرفت) منهما قائلة :

- أستميحكما عذرًا .

وقالت له خالته وهى تحدجه بنظرة غاضبة بعد ما انصرفت (ميرفت) ..

- ألن تتوقف عن مضايقة (ميرفت) كلما حضرت إلى هنا ؟

- أضايقها ؟.. لماذا تقولين ذلك يا خالتى ؟ إننى أحاول ملاطفتها فقط .

- لكنها لا تتقبل ملاطفتك هذه .. وذلك شىء يرى بوضوح .

ضحك قائلًا :

- إنها تتدلل فقط .

سألته خالته قائلة بجدية :



- هل أنت معجب بـ (ميرفت) .

بدا محرجًا بعض الشىء وقد بوغت بالسؤال .. لكنه لم يلبث أن أجابها قائلًا :

- إن لها شخصية تستحق الاعجاب بالفعل .

- إذن .. لِمَ لا تتزوجها ؟

بدا هذا التساؤل أشد مباغتة له .. فقال بعد برهة من الصمت :

- لا يا خالتى .. إن إعجابى لا يصل إلى هذا الحد .. ثم إنك تعرفين رأيى فى الزواج .

عادت لتقول له فى غضب :

- إذن لِمَ لا تدعها فى حالها .. وتتوقف عن ملاحقتها كلما أتيت إلى هنا ؟

- إذا كانت ملاطفتى لها تضايقها إلى هذا الحد .. فإننى مستعد للابتعاد عنها تمامًا .

- سيكون هذا أفضل .. فـ (صلاح) أيضًا لا يستسيغ طريقتك فى الحديث إليها .

قال بخبث :

- لم أكن أعرف أن (صلاح) أيضًا يعترض على محاولتى كسب صداقتها .

قالت له خالته بلهجة حاسمة :

- اسمع يا (عمر) .. إن (ميرفت) ليست من نوع الفتيات اللاتى تعرفهن.. إنها إنسانة جادة ومهذبة.. وتكرس كل وقتها لرعاية ابنتى (صلاح).. لذا فمن الأفضل أن تكون مهذبًا معها فى حديثك وتصرفاتك كلما جئت إلى هنا.

- هل شكت لكم منى ؟

- إنها ليست بحاجة إلى أن تشكو ، فكما قلت لك إن وضوح تصرفاتك معها يغنى عن ذلك .

لكن رجلًا من طراز ( عمر ) لم يكن من النوع الذى تؤثر فيه الكلمات بسهولة .

★ ★ ★





## ٤ - عاطفة مشتركة ..

جلس (صلاح) يخط بعض الكلمات ويدون بعض الأرقام فى الأوراق الموضوعة أمامه فوق مكتبه .

لكنه لم يلبث أن توقف عن متابعة ما يكتبه ، وألقى بالقلم جانبًا وهو يطلق زفرة قصيرة تنم عن ضيق صدره .

وما لبث أن سمع طرقات على باب غرفته فاستدعى الطارق قائلًا :

- ادخل .

دخلت ( ميرفت ) إلى الحجرة ، وتلك الابتسامة الرقيقة الهادئة ، على وجهها لتقترب منه قائلة :

- هل أعطلك عن شىء ؟

قال لها دون أن يجيب سؤالها :

- هل تريدين شيئًا يا ( ميرفت ) ؟

- كلا .. ولكنك وعدت أن تصحب البنتين فى نزهة اليوم .

- آه .. حقًا !.. لقد نسيت .

ثم صمت برهة .. قبل أن يقول :

- إننى مرتبط ببعض الأعمال اليوم .. ألا يمكنك أن تعتذرى لهما بشكل أو بآخر ؟

- بل يمكننى أن أقوم بذلك نيابة عنك .

- سأكون ممتنًا لك لو فعلت ذلك .. فأنا لا أحب أن يحرما من تلك النزهة التى وعدتهما بها .. خاصة وقد كانتا تنتظرانها بفارغ الصبر .

- لا تحمل همًا .. سأنوب عنك فى ذلك .

- لا أعرف ماذا كنت سأفعل بدونك يا (ميرفت) :

وهمت (ميرفت) بالانصراف .. لكنها توقفت لدى الباب وقد ارتسمت على وجهها ملامح التردد قبل أن تسأله قائلة :

- هل أكون متطفلة لو سألتك عما يضايقك ؟

نظر إليها قائلًا :

- وكيف عرفت أن هناك ما يضايقنى ؟

- هذا ما يبدو واضحًا على وجهك .

- لا أريد أن أشغلك بهمومى .

- أحيانًا يكون الحديث عن هموم المرء إلى شخص ما ، كفيلًا بإزاحة بعض من أثقاله عن النفس .

تأملها بإعجاب ودهشة لبرهة من الوقت .. قبل أن يقول :



- أحيانًا يكون مجرد الحديث إليك مدعاة لإزاحة بعض الأثقال عن النفس .

تضرج وجهها بالاحمرار .. وقد أحست بأن هذه هى أول عبارة رقيقة تسمعها منه منذ فترة .. وتحدث هذا الأثر فى نفسها .

استطرد (صلاح) قائلًا :

- إننى أعانى بعض المتاعب المادية .

- ألا تسير الأحوال فى العمل على ما يرام ؟

- نعم .. برغم أننى أبذل قصارى جهدى .. لكن المنافسة فى السوق قاسية ..

وفى تلك اللحظة سمعا صوت أنين فى الخارج .

وهتفت (ميرفت) بتلقائية قائلة :

- (رشا) !

ثم اندفعت خارجة و (صلاح) فى إثرها .

كانت الطفلة واقفة أمام الغرفة وقد بدت فى حالة إعياء شديد وهى تضع يديها على رأسها .

وتلقفتها (ميرفت) بين ذراعيها قائلة :

- ماذا بك يا حبيبتى ؟

قالت لها الطفلة فى صوت واهن !

- رأسى يا ماما (ميرفت) رأسى يؤلمنى بشدة .

وضع (صلاح) يده على جبهتها قائلًا :

- هل تحسين بصداع ؟ ثم نظر إلى (ميرفت) قائلًا :
- إن جبهتها ساخنة .
قالت له (ميرفت) وملامح القلق على وجهها :
- استدع لها طبيبًا بسرعة .
ثم حملتها إلى غرفتها و (ميرفت) تنادى الخادمة قائلة :
- أعدّى كوبًا من الليمون الدافئ .
اندفعت الطفلة الثانية نحوها قائلة :
- ما الذى حدث لـ (رشا) ؟
كانت (ميرفت) راقدة بجوارها على الفراش ، وقد احتضنت رأس الطفلة فوق صدرها ، ويدها تمسح حبات العرق عن جبهتها .
وقالت لأختها الصغيرة محاولة طمأنتها :
- لا شيء يا حبيبتى .. مجرد تعب بسيط وسيزول حالًا .
- وأين بابا ؟
- إنه يتصل بالطبيب ليحضر من أجل أختك .
- مادام سيأتى بطبيب .. إذن فهى مريضة .
- قلت لك .. إنها متعبة قليلًا .. وستشفى .
قالت لها (منى) ببراءة وخوف :
- هل ستموت ؟
صاحت (ميرفت) قائلة :
- لا أريد أن تقولى شيئًا كهذا مرة أخرى .



- ولكنى لا أريد لها أن تموت مثل ماما .
نظرت إليها (ميرفت) بعطف قائلة :
- من قال لك إن ماما قد ماتت ؟.. إنها مسافرة فقط .
قالت لها (منى) بلهجة واثقة :
- كلا .. إننى أعرف أن ماما قد ماتت وأنكم تكذبون علينا وتقولون إنها مسافرة .
ازدادت نظرة العطف فى عينيها وهى تقول :
- يا حبيبتى يا (منى) .
ثم سألتها بقلق قائلة :
- هل أخبرت أختك بذلك ؟
- كلا .. فأنا لا أريد لها أن تبكى .. إنها ستبكى وتحزن كثيرًا لو أخبرتها بذلك .أنا أيضًا كنت أبكى لأن أمى قد ماتت ، ولكنى حرصت على أن أجعلها لا ترى دموعى .
انحدرت دمعة من عينى (ميرفت) وهى تحتوى الطفلة بذراعها الأخرى لتحتضن الطفلتين معًا وهى تقول لها بتأثر :
- لقد كبرت قبل الأوان يا حبيبتى .
وبعد قليل حضر (صلاح) ومعه الطبيب بعد أن ذهب لإحضاره بنفسه ، وظلت (ميرفت) قلقة للغاية حتى انتهى الطبيب من فحص (رشا) ، وشاركها فى ذلك أبوها الذى تعلقت عيناه بالطبيب :

وما لبث أن قال لهما الطبيب :

ـ إنها مصابة بإنفلونزا .. والحالة لا تستدعى كل هذا القلق .

سأله (صلاح) قائلًا :

ـ لكنها كانت فى حالة شديدة من الإعياء .

ـ هذا هو نوع الإنفلونزا المنتشرة هذه الأيام .. إنها تكون مصحوبة بإعياء وضعف شديدين .. لكنها غالبًا لا تستمر لأكثر من يومين أو ثلاثة .. فى حالة العناية بالمريض وتقديم الأدوية اللازمة .

وبعد أن انصرف الطبيب التفت (صلاح) إلى (ميرفت) قائلًا :

ـ الحمد لله .. لقد طمأننا الطبيب .

قالت (ميرفت) :

ـ لا أعرف كيف أصابتها الإنفلونزا ؟ برغم أننى كنت حريصة على عدم تعرضها لأية تيارات هوائية .. كما أنها كانت بحالة جيدة حتى الصباح .

ـ إن الفيروس منتشر فى الهواء .. كما أن أعراضه فجائية .. على كل حال الحمد لله على أن الحالة ليست خطيرة .. ولو أنه يتعين علينا أن نراعى تعليمات الطبيب .



ـ لن أدعها تغيب عن عينى خلال اليومين القادمين .. حتى يتم لها الشفاء .

تأملها (صلاح) قليلًا قبل أن يتحرك لشراء الدواء ، وقد أحس بأن إعجابه يتزايد نحوها .. إن بينهما شيئًا مشتركًا يربطهما معًا .. وهو حبهما لهاتين الطفلتين .

صافح (عمر) ابن خالته قائلًا :

ـ حمدًا لله على سلامة (رشا) يا (صلاح) .. لقد أخبرتنى خالتى بالأمر الآن .

شكره (صلاح) وهو يدعوه إلى شرب الشاى قائلًا :

ـ ما أخبارك الآن يا (عمر) .

ـ إننى فى خير حال .

ـ ألم تبدأ فى البحث عن وظيفة بعد ؟

ضحك (عمر) قائلًا :

ـ لقد جربت حظى فى مجال الوظائف .. وأنت تعرف النتيجة .

ـ هذا لأنك لم تأخذ عملك بجدية .. فقد أهملت فى عملك .. ولم تكن تواظب على الحضور .

ـ أنت تعرفنى .. لا شىء فى الدنيا يثير نقمتى قدر الوظيفة ، وروتين العمل اليومى .. ومواعيد الحضور والانصراف وكل تلك الأشياء المقيتة .. ثم ماذا كنت

أكسب من هذه الوظيفة ؟.. إن الراتب الذى كنت أحصل عليه لم يكن يوازى ثمن السجائر التى أدخنها .

- المسألة .. ليست مسألة نقود وراتب .. إننى لا أظن أنك سترضى لنفسك أن تظل عاطلًا عن العمل هكذا .

- إن ريع الأرض والعمارتين اللتين تركهما أبى لى أنا وأمى يغنيانى عن البحث عن وظيفة .. وتحمل مساوئها .

- ولكن خالتى حادثتنى بشأنك وهى قلقة لعدم سعيك وراء الحصول على أى عمل ، وغير راضية عن نمط الحياة التى تعيشها .. نوم حتى منتصف النهار وسهر كل ليلة .. ولا تعود إلى المنزل إلا فى وقت متأخر .

- إن أمى تنسى أننى قد جاوزت التاسعة والعشرين من عمرى ، وأننى لم أعد طفلًا .

- نعم .. إنك لم تعد طفلًا .. بل صرت رجلًا ناضجًا .. ولهذا لابد أن تكون هناك قيمة لحياتك .. لابد أن تمارس عملًا وتفكر فى إنشاء أسرة .

قال له ( عمر ) متبرمًا :

- آه .. ابن خالتى العزيز .. هأنتذا تعود إلى حديثك المثالى وعظاتك القديمة .. أرجوك يكفى ما أسمعه من أمى وخالتى فى هذا الشأن .

- إن كلنا يسعى لمصلحتك .



- ولكنى راض عن حياتى هكذا .

- اسمع كلامى يا ( عمر ) .. تخل عن هذه الحياة التى تعيشها قبل فوات الأوان فعواقبها وخيمة .

يجب أن يكون لديك هدف لحياتك .. إذا كنت ترفض الوظيفة ولا تجد نفسك فى روتين العمل الحكومى .. فلماذا لا تحاول أن تبدأ العمل فى مشروع تجارى خاص بك ؟

ابتسم ( عمر ) قائلًا :

- مشروع تجارى .. أتدرى كم يكلف مثل هذا المشروع لو أردت أن أقوم به ؟

إنه يحتاج إلى مبالغ طائلة لا قبل لى بها .

حقًا إننى أحيا حياة لا بأس بها من الإيراد الذى أحصل عليه من الأرض والعمارتين ، لكن ليس إلى الحد الذى يؤدى إلى تحمل عبء مشروع تجارى .

- كنت أود أن أساعدك فى هذا الشأن .. لولا أننى أمر بظروف مالية صعبة .. ولكن ربما بعت إحدى العمارتين .

لكن ( عمر ) كان منشغلًا عنه بمراقبة ( ميرفت ) التى حضرت إلى الحديقة مع الطفلتين فى هذه اللحظة .

لاحظ ( صلاح ) اهتمام ( عمر ) بـ ( ميرفت ) .. فحس بشىء من الضيق لذلك .

وعاد ليسأله قائلًا :

ـ ماذا قلت ؟

قال له (عمر) الذى كان شاردًا عنه بمراقبة (ميرفت) :

ـ هه .. ماذا تقول ؟

ـ كنت أحدثك فيما لو كنت جادًا بشأن القيام بمشروع تجارى ، فإنك تستطيع أن تدير موارده المادية فيما لو بعت إحدى العمارتين اللتين ورثتهما عن أبيك .. لكن (عمر) بدا غير مهتمّ به ولا بحديثه .. قدر اهتمامه بمراقبة (ميرفت) .. وقال له بغير اكتراث :

ـ دعك من هذا الآن .. سأذهب للاطمئنان على (رشا) .

ونهض من مكانه متجهًا نحو (ميرفت) والطفلتين .

★ ★ ★



## ٥ ـ الحائر ..

ربت على رأس الطفلة قائلًا لها :

ـ كيف حالها الآن ؟

أجابته (ميرفت) قائلة :

ـ الحمد لله .. إنها بخير .

ـ لقد عرفت أنك قد بذلت جهدًا كبيرًا فى رعايتها خلال الأيام الماضية حتى شفيت .

ـ كان يتعين علىّ أن أفعل ذلك ما دامت البنت مريضة .

وجلس على المقعد المواجه لها ، وهو يجلس الطفلة على ركبتيه قائلًا :

ـ إن خالتى أخبرتنى أنك تعاملين هاتين البنتين كما لو كانتا ابنتيك .

قالت له (ميرفت) وهى تعمل على تمشيط شعر (منى) :

ـ إن ابنتىّ أختى هما بمثابة ابنتىّ .

حدجها بنظرة فاحصة قائلًا :

ـ كلما عرفتك أكثر ، كلما ازددت تقديـرًا لك يا ( ميرفت ) .

قالت له بفتور :

ـ أشكرك .

وابتسم لـ (منى) قائلًا :

ـ وأنت يا (منى) .. كيف حالك ؟

أجابته الطفلة قائلة :

ـ إننى بخير .

وضع يده على وجنتها قائلًا :

ـ هل تحبين ماما (ميرفت) ؟

قالت له الطفلة :

ـ أحبها كثيرًا جدًا .

احتضنتها بين ذراعيها بينما قال لها (عمر) وهو ينظر إلى (ميرفت) نظرة ذات مغزى :

ـ كلنا نحبها هنا .

تناولت (ميرفت) (رشا) من فوق ركبتيه لتصحبها معها هى وأختها قائلة له :

ـ عن إذنك .

نهض سريعًا وهو يقول لها :

ـ تفضلى .



ووقف فى مكانه يتابعها فى أثناء ابتعادها .. بينما كان (صلاح) يرقبه بدوره وقد ظهرت على وجهه ملامح عدم الارتياح ..

★ ★ ★

وفى المساء جلس (صلاح) فى الشرفة يتطلع إلى السماء الممتدة أمامه ، دون أن يبدل ثيابه بعد أن عاد من عمله منذ لحظات .

وما لبثت أن دخلت عليه أمه وهو على جلسته هذه قائلة :

ـ مساء الخير يا (صلاح) .

نهض سريعًا ليقبل يدها قائلًا :

ـ مساء الخير يا أمى .. لماذا أنت ساهرة حتى الآن ؟

قالت له وهى تجلس فى المقعد الذى يجاوره :

ـ لا أشعر بالرغبة فى النوم .. وفكرت أن آتى لأجلس معك قليلًا إذا لم يكن فى ذلك ما يضايقك .

ـ بل إن هذا يسعدنى .

ـ لماذا لم تبدل ثيابك حتى الآن ؟ ولماذا لم تتناول عشاءك ؟

ـ لقد تناولت وجبة خفيفة فى المكتب ، وسوف أبدل ثيابى بعد قليل :

قالت له الأم وهى ترقب ما يبدو عليه من قلق وهم :

ـ ولماذا تبدو مهمومًا هكذا ؟

ابتسم بمرارة قائلًا :

ـ هذه هى المرة الثانية التى أسمع فيها هذا السؤال .. هل يبدو وجهى عابسًا إلى هذا الحد ؟

ـ حتى لو حاولت أن تخفى هذا العبوس عنى .. فإن غريزة الأم لا تخطئ .

ـ لا شىء أكثر من متاعب العمل يا أمى ..

لم يكن يخفى على الأم أن هذا ليس هو السبب الحقيقى لتلك الحالة التى يبدو عليها ، فهى لم تر على وجهه ابتسامة حقيقية منذ وفاة زوجته .

ـ قالت له الأم بنبرة حزينة :

ـ ليست متاعب العمل فقط يا بنى هى التى تجعلك تبدو على مثل هذه الصورة .. إن قلبك مفعم بالحزن .

ـ أحيانًا أشعر وكأن الحياة بأسرها لم يعد لها معنى .

ـ يتعين عليك أن تطرح هذه الفكرة من عقلك ، وكلما واتتك انظر إلى ابنتيك الجميلتين .. لتعرف أن الحياة مازالت تحمل لك الكثير من المعانى الجميلة .

تنهد قائلًا :

ـ البنتان اللتان تيتمتا فى هذه السن الصغيرة .. وحرمتا من حنان أمهما .



ـ احمد الله الذى هيأ لك وجود فتاة مثل (ميرفت) تسهر عليهما وترعاهما ، كما لو كانت أمهما الحقيقية .

ـ لا أستطيع أن أنكر أن وجودها كان عونًا كبيرًا لى فى رعاية البنتين ، ولكن لا شىء يعدل وجود الأم الحقيقية .

ـ كثيرات من الأمهات لا يقمن بواجبهن على النحو الأمثل .

ـ لم تكن (سلوى) من هذا النوع من الأمهات .. لقد كانت تمتلئ عطفًا وحنانًا .

ـ وكذلك (ميرفت) .

ـ سيأتى يوم يتعين فيه على (ميرفت) مغادرة هذا المنزل .

ـ ولمَ يتعين عليها أن تفعل ذلك ؟

ـ لأنها ولابد ستتزوج يومًا ما .

ـ ولمَ لا تكون أنت هذا الزوج ؟

تطلع إليها بدهشة وقد بوغت بما قالته أمه .. بدا وكأنه لم يتوقع أن يسمع مثل هذا القول أبدًا ..

سألها قائلًا :

ـ ماذا تقولين ؟

ـ أقول .. لماذا لا تكون أنت هذا الزوج ؟

ـ هذا آخر شىء كنت أتوقع سماعه منك .

- بل هذا هو ما كان يتعين عليك أن تفكر فيه .

قال لها ( صلاح ) وقد بدا وكأنه مازال مندهشًا لما سمعه :

- ( ميرفت ) ؟.. إن ( ميرفت ) هذه بمثابة .. بمثابة أخت لى .

- عليك أن تفكر فيها بطريقة مختلفة .. إنها تحب ابنتيك وتعاملهما بحنان وعطف كما لو كانتا ابنتيها ، كما أنها تمت إليهما بصلة حقيقية بالفعل فهى خالتهما .. أيضًا فإن ابنتيك تحبانها .. ولن تجد أفضل منها زوجة لك وأمًا بديلة لابنتيك .

- أؤكد لك .. أننى لا أتصور أن تكون ( ميرفت ) زوجة لى .

- هذا لأنك لم تحاول أن تفكر فيها على هذا النحو .

- ولا يمكننى أن أفكر فيها على هذا النحو .

- لماذا .. ما الذى يعيبها ؟ لقد عشت معها تحت سقف هذا البيت سنوات طويلة .. وتعرفها جيدًا .. كما تعرفك .. أيضًا فإننى أظن أنها تحمل لك قدرًا كبيرًا من التقدير والعاطفة .

قال لها ( صلاح ) معترضًا :

- كلا .. كلا يا أمى .. التقدير نعم .. لكن العاطفة لا .. إن ( ميرفت ) لا يمكن أن تفكر فى زوج أختها على هذا النحو .



- ولماذا ؟.. أليست بشرًا ؟ والبشر لا حكم لهم على مشاعرهم .

- ومن أين جئت بهذه الثقة فى حكمك عليها ؟

- ان لى عينين تريان .. كما أننى امرأة .. وأفهم ما الذى تعنيه تلك النظرات التى ترمقك بها فتاة مثلها .

- إنك تبالغين يا أمى .

- إننى أتبع المنطق والتفكير الصائب .. إن ( ميرفت ) هى الزوجة المثالية لك فى ظل ظروفك الحالية .. وبالنظر إلى علاقتها الوطيدة بالبنتين .

- ولكنى لست مؤهلًا للزواج فى الوقت الحالى .. بل لا يمكننى أن أتزوج بعد ( سلوى ) .

- بل لابد لك من أن تتزوج حتى تستقيم حياتك وحياة ابنتيك .

- لا أتصور نفسى مرتبطًا بامرأة أخرى بعد ( سلوى ) .

- هذا ما تقوله الآن .. ولكن عندما تنقشع أحزانك وتهدأ شجون ذكرى رحيل زوجتك .. فلابد أنك ستفكر فى الأمر .. خاصة وأنك شاب من طراز مستقيم وجاد وتحمل عاطفة قوية بين ضلوعك .. ومن هم على شاكلتك لا يستطيعون أن يحيوا بدون حياة مستقيمة ومنظمة وهذا ما يوفره الزواج .

قال لها (صلاح) متبرمًا .

- أمى .. أرجوك .. كفى حديثًا فى هذا الأمر .

نهضت الأم قائلة :

- كما تريد يا بنى .. ولكن حاول أن تفكر فيما قلته لك .

- سأوصلك إلى غرفتك .

- لا داعى لذلك .. فأنا أعرف طريقى جيدًا ولا أحتاج لمساعدة .

احتواها (صلاح) بإحدى ذراعيه قائلًا :

- أرجو ألا أكون قد أغضبتك .

نظرت إليه بحنان وهى تمسح بيدها على وجنتيه قائلة :

- لست غاضبة منك يا بنى .. ولا يمكننى أن أغضب منك .. ولكننى أم .. ولا شىء يتعس الأم قدر أن ترى ابنها تعسًا وحائرًا ، كما أراك هكذا .

حاول أن يبتسم قائلًا :

- إن الحياة لا تستمر دائمًا على منوال واحد .. ولابد أن كل هذه المتاعب سترحل يومًا ما .

- هذا ما أتمناه يا بنى .. لأجلك وأجل ابنتيك اللتين أصبحتا فى حاجة إليك أكثر من أى وقت آخر .



غادر (صلاح) الشرفة بعد انصراف الأم وهبط إلى الحديقة ، حيث أخذ يسير فى أرجائها بخطوات بطيئة وهو يفكر فيما قالته .

نعم إن ما قالته لا يخلو من المنطق ، وهو يبدو أقرب إلى التفكير الصحيح . إن (ميرفت) والطفلتين يرتبطون ببعضهم ارتباطًا وثيقًا ، خاصة منذ رحيل الأم .. حتى أنهما لا يناديانها إلا بكلمة ماما (ميرفت) .

كما أن هناك شيئًا من التقارب النفسى بينه وبينها .. ولا ينسى كيف وحدتهما مشاعر القلق على (رشا) حينما كانت مريضة .

إنها أيضًا تفهمه ربما على النحو الذى كانت تفهمه به زوجته وتشاركه الكثير من أفكاره .

ولكن هل يكفى كل ذلك لكى يفكر فيها كزوجة ؟

عاد ليقول لنفسه :

- إن لم يكن من أجله .. فلأجل ابنتيه .

إنه لن يستطيع أن يبقيها طويلًا فى منزله .. فهو يعرف أنها لابد أن ترحل إن عاجلًا أم آجلًا .. إن لم يحاول أن يبقيها برباط رسمى .. لماذا لا يتخذها زوجة له على الأقل من أجل ابنتيه ؟

إنه يعرف أنه لا يحمل لها عاطفة من ذلك النوع الذى يدفع الرجل للزواج ، بل إن مشاعره لم تتخط ـ حتى الآن وبرغم المعاشرة الطويلة ـ حدود التحفظ ، ولم يحاول أن يبدى شيئًا من التقارب القوى كذلك الذى يوجد أحيانًا بين الزوج وأخت زوجته بحكم المصاهرة .

إن بينهما شيئًا من الاحترام والتقدير والثقة .

توقف عن التفكير لحظة ، وهو ينظر إلى النافذة المضيئة فى فيلته حيث توجد (ميرفت) مع البنتين .

ثم عاد ليقول :

ـ ربما يكون هذا بداية طيبة لوجود علاقة زوجية يمكن أن تستمر فى المستقبل .

نعم فالاحترام والتقدير والثقة أمور مطلوبة للزواج .

ولكن ماذا عن المشاعر ؟ ماذا عن الحب ؟

وأطرق قائلًا لنفسه :

ـ لقد انتهى كل ذلك بوفاة (سلوى) .

* * *





## ٦ ـ دعنى أرحل ..

أنهت (ميرفت) استحمام البنتين ثم دثرتهما بالأغطية ، وحملتهما إلى غرفتهما .. حيث قامت بتمشيط شعرهما .. وهى تداعبهما فى رقة وحنان .

وما لبثت أن دفعت بهما إلى فراشهما وقامت بتغطيتهما .. وقد أخذت تسرد عليهما بعض قصصها المسلية حتى استسلمتا للنوم .

وما إن تأكدت من ذلك حتى غادرت الغرفة فى هدوء على أطراف أصابعها لتهبط الدرج المؤدى إلى الردهة .

وبينما هى تفعل ذلك إذا بها تجد (عمر) أمامها وقد صعد درجتين من السلم المؤدى إلى الطابق العلوى .

ابتسم لها قائلًا :

ـ مرحبًا يا (ميرفت) .

نظرت إليه بانزعاج قائلة :

ـ أنت ؟.. ما الذى أتى بك الآن ؟

قال لها بلهجة ساخرة :

- هل من المحظور علىّ أن آتى إلى منزل خالتى الآن ؟

أجابته معتذرة :

- آسفة .. لا أقصد ذلك .. لكنِ خالتك نائمة الآن .

- أعرف ذلك .

هزت كتفيها باستغراب وهى تنظر إلى يده التى تعترض طريقها على الدرج .

لاحظ نظراتها فأفسح لها طريقًا قائلًا :

- تفضلى .

فهبطت السلم وقد بدا عليها الارتباك .

لقد كانت فى طريقها للجلوس أمام التليفزيون فى الردهة ، لتسلى نفسها بعض الوقت قبل أن تصعد للنوم .

ولكن ماذا تفعل الآن فى وجود ذلك الشخص الثقيل ، خاصة مع وجود الخادمة فى الخارج .. وعدم وجود (صلاح) فى المنزل ؟

تبعها إلى الردهة وعيناه ترمقانها بتلك النظرات المقيتة .

سألته قائلة :

- أتحب أن تشرب شيئًا ؟



- لا داعى لذلك .. إننى أفضل الجلوس معك .

ثم أردف قائلًا :

- أيضايقك ذلك ؟

أجابته قائلة :

- كلا .. ولكن لا أحد فى المنزل .. عدا الطفلتين .. وخالتك نائمة .

- أيعنى هذا أنه لا يحق لنا أن نجلس معًا ؟

ظلت صامتة .. فعاد ليسألها قائلًا :

- أتخشين من الجلوس معى بمفردنا ؟

قالت له وهى تحاول إخفاء ضيقها :

- كلا .. تفضل واجلس لو شئت .. أما أنا فلدى بعض الأعمال لأؤديها .

- لكنك لن تتركى ضيفك ليجلس هكذا بمفرده .

- أنت لست ضيفًا فهذا بيت خالتك .

- إذن فأنت لا ترغبين فى الجلوس معى .

جلست (ميرفت) مرغمة وهى تقول :

- حسن .. يمكننى أن أجلس معك لبضعة دقائق لو أردت .

- يكفينى أن أحظى بهذه الدقائق .

وصمت برهة قبل أن يستطرد قائلا :

- (ميرفت) .. لماذا تعاملينني هكذا؟ أعني لماذا لايوجد بيننا شيء من المودة برغم أنني أبذل جهدي لإيجادها؟

- أن تصرفاتك تتجاوز أحيانا حدود المودة التي تتحدث عنها .

- ربما أكون قد أخطأت في اتباع الأسلوب المناسب .. ولكن صدقيني إنني لم أكن أقصد من ذلك مضايقتك أو الإساءة إليك .. كل ما هنالك أنني أردت بالفعل كسب صداقتك .

- هل أنت صادق في استخدامك لكلمة الصداقة حقًا ؟

- إذا أردت أن أكون صادقًا معك .. فربما أنظر إلى هذه الصداقة كخطوة أولى لمزيد من التقارب معك .

- ولماذا كل هذه الرغبة في التقارب معي ؟

- لأنني معجب بك حقًا .

أطلقت (ميرفت) زفرة قصيرة قائلة :

- أستاذ (عمر) !

- (عمر) فقط .. لا داعي لاستخدام الرسميات معي .

لكنها لم تأبه لما قاله بل استطردت قائلة :

- إنني لست من النوع الذي يتناسب معك .



- وما أدراك بذلك ؟

- إنك حسب ما أعرفه عنك لديك العديد من العلاقات النسائية وتعرف الكثير من الفتيات اللاتي يمكن أن يثرن إعجابك أكثر مني .

- لم أعد آبه بإحداهن .. إنني أفضلك على أية فتاة أخرى عرفتها .

- لماذا ؟ ألا ترى أنني لست جميلة ؟.. وأنا من طراز يختلف عنك .

- إن الجمال مسألة نسبية .. وما يعجبني فيك أنك من طراز مختلف ، طراز لم أقابله من قبل .

- وما أدراك أنني يمكن أن أكون مستعدة للتجاوب مع إعجابك هذا ؟

- لو أتحت لنا الفرصة سنحظى بهذا التجاوب .. ولهذا تحدثت عن الصداقة كمدخل لصلة أكثر تقاربًا .

نهضت (ميرفت) قائلة :

- آسفة .. إن التقارب بالشكل الذي تتحدث عنه لا يلائمني .

نهض سريعًا ليحول بينها وبين مغادرة المكان قائلًا :

- أرجوك .. لا تسيئى الظن بى .. إن ما أقصده عن التقارب ليس على النحو الذى تفكرين فيه .

- ليس لدى أى وقت لأى أفكار تدور برأسك .. هناك شىء أهم يشغلنى .. وهو العناية والرعاية التى يجب أن تتوافر لهاتين الطفلتين اليتيمتين .

قال لها بلهجة تهكمية :

- الطفلتين .. أم أبيهم ؟

نظرت إليه بغضب قائلة :

- ماذا تقصد ؟

- هناك أحاديث كثيرة تدور حول وجودك فى هذا المنزل بعد وفاة أختك .. وأن تعلقك بـ (صلاح) ورغبتك فى الزواج منه ، والاستحواز عليه ، وعلى ثروته هو الذى جعلك لا تبرحين هذا المنزل .

انفعلت قائلة بحدة :

- كيف تسمح لنفسك أن تقول شيئًا كهذا ؟.. ومن هم هؤلاء الذين يرددون مثل هذه الكلمات الوضيعة ؟

- لم أقصد أن أجرحك .. ولكن ....

قاطعته قائلة وهى فى شدة الانفعال :

- اخرج من هنا .. لو سمحت اخرج الآن من هنا .



ارتسمت على وجهه ملامح الندم وهو يقول لها :

- آسف .. حقًا لم أقصد الإساءة إليك بما قلته .. ويبدو أننى لا أحسن اختيار كلماتى .. ولكن صدقينى .. إن أمرك يهمنى .. وأنا أخشى عليك بالفعل وعلى سمعتك من تلك الشائعات التى بدأت تتردد على بعض الألسنة بشأن الهدف من بقائك فى هذا المنزل .

وفى تلك اللحظة فتح الباب الخارجى ، ودخل (صلاح) الذى أدهشه وجود (عمر) فى تلك الساعة المتأخرة جالسًا مع (ميرفت) وحدهما .

وصافحه وفى عينيه نظرة تنم عن عدم رضاه قائلًا :

- أهلًا يا (عمر) .. متى جئت ؟

- من ساعة تقريبًا .

وتحول (صلاح) إليها قائلًا :

- مساء الخير يا (ميرفت) .. أين أمى والبنتان ؟

- إنهم نائمون .

وبدت ملامح عدم الارتياح أكثر وضوحًا على وجهه ، وهو يستمع إلى ذلك خاصة مع وجود (عمر) و (ميرفت) بمفردهما .. ومع ما يعرفه عن مضايقات (عمر) لها .

ونظر إلى وجهها قائلًا :

- هل يوجد ما يكدرك ؟

قالت له (ميرفت) سريعًا :

ـ كلا .. لماذا تقول ذلك ؟

ـ خيل لى أن هناك بعض الضيق فى وجهك .

واستأذنت (ميرفت) قائلة :

ـ عن إذنكما .. سأحضر العشاء .

قال له (عمر) مستأذنًا هو الآخر :

ـ وأنا أيضًا سأنصرف .

سأله (صلاح) قائلًا :

ـ لماذا لا تبقى للعشاء معى ؟

ـ شكرًا لك .. تذكرت أن لدى موعدًا هامًا .

تابعه (صلاح) فى أثناء انصرافه .. ثم نظر إلى (ميرفت) وهى تعد العشاء قائلًا :

ـ هل غادرت أم (أحمد) البيت ؟

ـ نعم .. لقد سافرت لزيارة أهلها .

ـ إذن فقد ظللتما معًا طوال هذا الوقت بمفردكما !

نظرت إليه بتعجب قائلة :

ـ ماذا تعنى ؟

جلس على المقعد أمام المائدة قائلًا :

ـ لاشىء .. ولكننى أعرف مضايقات (عمر) .. وأخشى أن يكون ....



قاطعته قائلة :

ـ كلا .. لم يحاول أن يضايقنى .. إن تصرفاته على كل حال لا تتخطى حدًا معينًا .

قال لها معلقًا وهو يقبل على تناول طعامه :

ـ كان يتعين عليه على كل حال أن يغادر المنزل .. طالما لا يوجد من يجالسه .

ـ ولكنى كنت موجودة .. وكذلك والدتك .. والبنتان .

سألها قائلًا وهو يحاول أن يغير مجرى الحديث :

ـ لماذ لا تتناولين العشاء معى ؟

ـ أنت تعرف أننى أنام دائمًا بدون عشاء .

ـ آه .. تذكرت .. ولكن يمكنك الجلوس على المائدة معى على الأقل حتى أنتهى من تناول عشائى .

جلست (ميرفت) على أحد المقاعد بالمائدة ، فى حين بدا أنه غير مُقبل على الطعام الموضوع أمامه بشهية حقيقية .. قدر اهتمامه بالحديث إليها .

سألها قائلًا :

ـ هل البنتان على ما يرام ؟

ـ نعم .. لقد استحمتا وقمت بوضعهما فى فراشهما .

ـ حسن .. وماذا عنك ؟

نظرت إليه بدهشة قائلة :

- لا أفهم .. ماذا تعنى بذلك ؟

- أعنى ماذا عن أخبارك وأحوالك الشخصية .. إنك لا تخبرينى بالكثير عنك هذه الأيام .

ازدادت دهشتها .. فهى لم تعتد أن تحظى منه باهتمام حقيقى كذلك الذى يبديه الآن .

أجابته قائلة :

- إننى بخير .

حدق فى وجهها قائلا :

- هل هذا كل ما هنالك ؟

- لا أعتقد أن أمورى تهمك كثيرًا .

- كيف تقولين ذلك ؟ إنك فرد من هذه الأسرة .

- ربما لم أكن كذلك فى نظر الآخرين .

- ماذا تعنين ؟

- إننى أخت زوجتك المتوفاة .

- بل أنت أختى أيضًا .

قالت له وقد وضح على وجهها ملامح خيبة الأمل لقوله هذا :

- هذه كلمة مجازية .

- هل بدر منى أو من الآخرين ما يضايقك ؟

- كلا .. لم يحدث ذلك إطلاقًا .



- إذن لماذا هذه اللهجة التى تتحدثين بها الليلة ؟

نظرت إليه قائلة :

- قل لى أنت .. هل تشك لحظة فى حبى لـ (رشا) و (منى) .

- مطلقًا .

- وفى تقديرى لك ولوالدتك ؟

- لقد قلت لك إنك فرد من هذه الأسرة .. والاحترام والحب والتقدير متبادلان بيننا جميعًا منذ أن جئت إلى هذا المنزل ومن قبل وفاة أختك .

- ومع ذلك فإن من حقى أن أحافظ على سمعتى .

قال لها (صلاح) بانزعاج :

- ومن ذا الذى يستطيع أن يسىء إلى سمعتك ؟ إن سمعتك مصانة ولا يمكن لأحد أن يمسها .

ارتكزت (ميرفت) بجبهتها على قبضتيها .. محاولة إخفاء تعبير الحزن المرتسم على وجهها .

بينما نظر إليها (صلاح) قائلا :

- لقد سألتك من قبل هل أساء إليك (عمر) بكلمة أو تصرف ؟ قولى لى ولا تخفى عنى شيئًا .

هبت من فوق مقعدها قائلة :

- إن الأمر لا يتعلق بـ ( عمر ) .. بل بطبيعة وجودى هنا .. وما يمكن أن يتقوله الآخرون عنى .

إذا كان ( عمر ) قد قال أو فعل شيئًا .. فهو قد لفت نظرى فقط لحقيقة كان يتعين علىّ أن أضعها فى الاعتبار .

قال لها ( صلاح ) بلهجة شبه معتذرة :

- ( ميرفت ) .. إننى أقدر موقفك .. ولكن ....

قاطعته قائلة وهى تقاوم مشاعرها :

- يتعين علىّ أن أغادر هذا المنزل .

* * *





## ٧ ـ الرباط الوثيق ..

اضطرب ( صلاح ) لدى سماعه ذلك .. ولكنه حاول أن يخفى اضطرابه وأن يسيطر على مشاعره قائلًا :

- إننى لا أستطيع بالطبع أن ألومك أو أمنعك عن ذلك .. ولكن ماذا عن البنتين ؟ إنهما فى أشد الاحتياج إليك .

قالت ( ميرفت ) وهى تقاوم عبراتها :

- أنا أيضًا لا أعرف كيف سيمكننى الابتعاد عنهما .. ولكن يجب أن تقدر موقفى .

- ولكن لم أسمع كلمة واحدة تمسك بشىء .. ربما أن كلام ( عمر ) معك واستخدامه لأسلوبه المعتاد فى الحديث هو الذى أثر فيك هكذا .

لكن أؤكد لك أن كل تلك التقولات لا محل لها .

- إن أحدًا لن يجرؤ على التحدث إليك فى هذا الشأن .. لكن من الممكن بالطبع أن تدور مثل هذه الأحاديث من وراء ظهرك .

صمت ( صلاح ) دون أن يقول شيئًا .

بينما أردفت قائلة :

- حسن .. فلنفترض أن أحدًا لم يتكلم اليوم .. ولكن لابد أنه سيتكلم غدًا .

تنهد (صلاح) قائلًا :

- كل ما أستطيع أن أقوله لك هو أننى والطفلتين بحاجة إليك وإلى وجودك معنا .

وفى النهاية فإننى كما قلت لكِ لن أمنعك عما ترينه فى صالحك .

قال ذلك ثم انصرف مغادرًا المكان ، فى حين تهالكت هى على المقعد الذى كانت تجلس عليه وقد انخرطت فى بكاء حار .

وأخذت تردّد لنفسها قائلة :

- ليس هذا هو ما أردت أن أسمعه منك يا (صلاح) .. كان يتعين عليك أن تقول شيئًا آخر غير هذا لفتاة أحبتك زمنًا طويلًا .

كان يتعين عليك أن تقول إنك مستعد لإصلاح هذا الوضع الخاطئ .. وإنك ترغب فى منحى ما هو أكثر من دور المربية .. منحى دور الزوجة .. الزوجة التى حرمت نفسها من الاقتران بأى شخص آخر لأنها لم تحب سواك .. ولن تحب سواك أنت وابنتيك اللتين أصبحتا ابنتيها .



لكنك لن تقولها .. لن تقولها ابدًا .. لأنك لم تفكر فىَّ يومًا على النحو الذى أحببتك به .

إنك تحتاج إلى مربية لابنتيك .. لا إلى زوجة .

ونظرت إلى نفسها فى المرآة قائلة :

- وماذا كنت تنتظرين منه أن يفعل ؟ أن يطلب منك الزواج فقط من أجل تربية ابنتيه ؟ وإشفاقًا عليك من كلمات الناس .

أكنت ترضين لنفسك هذا ؟ وهل هذا هو ما تسعين إليه حقًا ؟ أن تفرضى عليه زواجًا غير قائم على الحب وعلى مشاعر حقيقية يكنها نحوك ؟

إن زيجة كهذه يتعين عليك أن ترفضيها حتى لو طلبها منك ..فهى تتنافى مع كرامتك وكبريائك .. كبريائك الذى منعك من أن تعبرى له عن حبك ، حينما عرفته فى الماضى أنت وأختك ، ووجدت أنه أصبح أكثر انجذابًا إليها منك .. وأنها الإنسانة التى اختارها قلبه .. برغم أنه كان الإنسان الذى اختاره قلبك منذ اللحظة الأولى التى وقعت فيها عيناك عليه .

نعم .. إن حبها سيبقى مدفونًا فى قلبها .. مادام

لايستطيع أن يراه حيًا أمامه ومادام لايرغب فيها كزوجة .

إنها تعرف أن حظها من الجمال قليل بعكس أختها .. لكن لو كان قد استطاع أن يطلع على ما فى قلبها نحوه ، لغفر لها حبها عجزها عن أن تكون جميلة فى عينيه .

إنها سترحل .. ستترك هذا المنزل .. لاخوفًا على سمعتها وحرصًا على كرامتها فقط .. بل لأنها لم تعد تستطيع أن تحتمل هذا الضغط العصبى الذى تتعرض له أكثر من ذلك .

ما بين مشاعرها التى لاتستطيع أن تتحكم فيها ، وهى قريبة منه على هذا النحو .. وإحساسها بالذنب كلما فكرت فيه على هذا النحو وهو زوج أختها الراحلة .

فقد ظلت مشاعرها هذه مصدرًا لإحساسها بالذنب وبأنها غير مخلصة تمامًا لأختها سواء فى حياتها أو بعد مماتها .. برغم حرصها على إخفاء هذه المشاعر .. وأحيانًا طردها من عقلها وقلبها .

لكنها لم تكن تملك شيئًا حيال طغيانها .. ولم تجد من المقاومة أكثر من تلك اللحظات القليلة التى كانت تحاول أن تنكرها فيها .. ولا أقوى من إخفائها داخل نفسها .



لكن بعد مرور هذه الشهور من وفاة أختها ازداد طغيان هذه المشاعر .

وسمحت لها أنانيتها .. وآمالها الضائعة القديمة بالتفكير فى أنها ربما حظيت بدور الزوجة الثانية .. ربما أتيحت لها الفرصة لتحظى باهتمامه وتفكيره .

ومع هذه المشاعر التى ازدادت قوة ، ازدادت أيضًا أحاسيسها بالذنب والأنانية ، لأنها سمحت لنفسها بالتفكير فى أن تأخذ مكان أختها ، برغم أنه لم يمر على موتها سوى بضعة شهور .

أختها التى كانت تعد نفسها بمثابة أم لها .. والتى بكت عليها بكاءً حارًا حتى جفت العبرات من مقلتيها .

كل هذا كان يزيد من حدة الضغط على أعصابها .. ومن أجل هذا يتعين عليها مغادرة هذا المنزل .

ولكن ماذا عن البنتين ؟

إنهما بحاجة إليها .. وسيكون رحيلها عنهما أمرًا قاسيًا للغاية ، بعد أن رحلت عنهما أمهما ، وبعد أن تعلقا بها على هذا النحو .. واستطاعت أن تعوض فقدانهما لأمهما .

وهى أيضًا .. هى أيضًا بحاجة إليهما أكثر من حاجتهما إليها .. لقد أحبتهما وحبها لهما أقوى بكثير من حبها

لـ (صلاح) .. حتى أنها باتت تشعر وكأن هناك ارتباطًا عضويًا يربطها بهما ولا تقوى على انتزاعه ..

نعم .. إنها تشعر وكأنهما صارتا ابنتيها بالفعل .. وهذا أصعب ما فى الأمر .

لن تقوى على مغادرة هذا المنزل ، وترك هاتين الطفلتين خلفها ..

سيكون من الصعب عليها أن تحرم منهما بعد أن ملكا عليها وجدانها ومشاعرها ..

وصعدت (ميرفت) إلى غرفتهما .. حيث جلست على الفراش بجوار الطفلتين .. وهى تعيد تغطيتهما بعد أن انزاح الغطاء عنهما .. وقد أخذت تتأملهما فى حنان بالغ .. وعاطفة قوية ...

وما لبثت أن قالت بصوت هامس ، وهى تنقل بصرها بين وجهيهما الجميلين البريئين ، اللذين يشبهان وجهى ملاكين :

ـ لن أرحل يا ابنتىَ الجميلتين .. لن أرحل عنكما .. ومن أجلكما ، مهما كان الثمن ومهما كانت التضحية .. فأنا أحبكما حبًا شديدًا ، ولن أقوى على فراقكما مهما حاولت .

★ ★ ★



قالت له أمه وهى تحدجه بنظرة مؤنبة :

ـ وما الذى كنت تتوقعه منها غير ذلك ؟

قال (صلاح) :

ـ أعتقد أنه سيتعين علىَ أن أبحث عن مربية بطريقة جدية .

ـ هل أنت واثق من أنها سترعى ابنتيك على النحو المرجوّ ؟

ـ لا أعرف .. ولكن سأحاول أن أتحرى الدقة فى هذا الشأن .

ـ لقد توقعت أن أسمع منك شيئًا آخر غير ذلك .

سألها (صلاح) قائلًا :

ـ أى شىء ؟

ـ أنت تعرف جيدًا ما أعنيه .. الشىء الذى خاب أمل (ميرفت) فى سماعه ، كما خاب أملى أيضًا .

ـ أتريدين منى أن أتزوج من فتاة فقط من أجل أن ترعى ابنتىَ ؟ ألا يوجد اعتبار لمشاعرى فى هذا الشأن ؟

ـ وما الذى يعيب (ميرفت) حتى لا تتجه إليها مشاعرك ؟ إن بها العديد من الصفات الرائعة التى يتمناها الكثيرون ، فهى إنسانة مخلصة وحنون ورقيقة

المشاعر .. ربما لم تكن فى مثل جمال زوجتك لكنها ، لاتقل عنها ، إن لم تكن تزيد فيما يميزها من صفات ..

- لم أقل إن بها ما يعيب .. ولكنك قلتها : إنها أخت زوجتى .. عاشت بيننا كأخت لها ولى .. عرفتها وأحببتها على هذا النحو .

واليوم عندما أفكر فى أنه يمكننى أن أتزوجها ، فإن ذلك يبدو لى كما لو كنا نشترك معًا فى خيانة هذه الزوجة الراحلة .. وننكر كل معانى الوفاء لها .

- هذا هراء .. إن زوجتك قد توفيت .. وقد عشت طوال حياتها وفيًا ومخلصًا لها .

ولا يقلل من قيمة هذا الإخلاص والوفاء ، أن تفكر فى الارتباط بزوجة أخرى بعد موتها .. خاصة فى مثل هذه الظروف .. ولم تكن لتجد من هى أفضل من إنسانة تثق بأنها لن تجرح أو تتبرم من هذا الإخلاص والوفاء .. بل إنها سترعى الأمانة التى خلفتها أختها بعد رحيلها وهى زوجها وابنتاه .

- ربما يكون هذا صحيحًا الآن .. ولكنك لا تستطيعين أن تثقى بصفة دائمة فى طبائع النفس البشرية .



إن أية امرأة تأبى أن تشاركها فى زوجها أية امرأة أخرى .. حتى لو كانت هذه المرأة مجرد ذكرى .. وحتى لو كانت هذه المرأة هى أختها المتوفاة ، ثم ماذا لو أنجبت فى المستقبل ؟.. أتضمنين أنها ستمنح ابنتىَ نفس الرعاية والعناية التى توليها لهما الآن ؟ اتضمنين أنها ستكون عادلة ومنصفة فى رعايتها لأبنائها وابنتى أختها ؟

- بالنسبة لـ ( ميرفت ) .. نعم أستطيع أن أضمن ذلك .. فأنا أثق بها .. وأثق بأن مشاعرها لن تختلف فى المستقبل عما هى عليه الآن .. فهى نوعية من البشر لاتخضع لتقلبات الزمن ولاتبدل الأيام .

- أنك متحيزة لها دائمًا .

- كنت أظنك تعرفها أكثر منى .

ودنت منه وهى تسأله قائلة :

- لا أعتقد أنك لا تحمل لها أية مشاعر مطلقًا كما تدعى .. وإلا فما سبب غيرتك عليها ؟ وضيقك من تواجد ( عمر ) معها ليلة أمس ؟

- ليست غيرة على النحو الذى تتخيلينه .. لكننى فى النهاية أعدها فردًا منا .. وكما قلت لكِ إنها بمثابة أخت لى .. ولابد أن أرعاها مادامت فى منزلى وما دامت ترعى بنتىَ .. وأن أخاف عليها كما يخاف الأخ على أخته .

حدجته الأم بنظرة فاحصة قائلة :

ـ هل هذا هو كل ما فى الأمر ؟

وفى تلك اللحظة سمعا صوت طرقات على الباب حيث دخلت (ميرفت) .

وما إن رأتها الأم حتى قالت لها :

ـ تعالى يا (ميرفت) .. ما هذا الذى سمعته من (صلاح) ؟ هل تريدين حقًّا أن تتركينا ؟

صمتت (ميرفت) وهى تطرق برأسها إلى الأرض .. بينما كان (صلاح) يرقبها بنظرات مختلسة .

واستطردت الأم قائلة :

ـ إنك لن تتركى هذا المنزل إلا إلى بيت زوجك .. ودعك من أية أقاويل لا أساس لها من الصحة .

تدخل (صلاح) قائلًا :

ـ لا يا أمى .. إن من حقها أن تختار الحياة التى تناسبها .. ولا داعى لأن نضغط عليها .. ونحملها ما هو فوق طاقتها .

نظرت إليه (ميرفت) وهى تقول بصوت خافت :



ـ لقد فكرت فيما قلته ليلة أمس .. إننى لا أستطيع أن أبتعد عن (رشا) و (منى) .. فحبى لهما يطغى على أية اعتبارات أخرى .. لذا فلن أبرح هذا المنزل على الأقل حتى يبلغا السن التى تستطيعان فيها الاعتماد على نفسيهما .

وانفرجت أساريره وهو يندفع نحوها ، ليتناول يدها مقبلًا وقائلًا :

ـ أشكرك يا (ميرفت) .. أشكرك من كل قلبى .. فلم أكن أعرف كيف سيمكننى التصرف حيال هاتين البنتين بدونك .

* * *



## ٨ ـ طلب زواج ..

صاح فيه قائلًا :

ـ كيف جرؤت على أن تفعل ذلك ؟

سأله (عمر) قائلًا :

ـ ماذا فعلت ؟

ـ تحرض (ميرفت) على ترك المنزل .

ـ هل قالت لك ذلك ؟

ـ لم تكن بحاجة لتقول شيئًا .. يكفى أن تخبرها بأن وجودها فى منزلى أمر يسىء إلى سمعتها .. ويثير أقاويل الناس لكى تسعى إلى ترك المنزل حفاظًا على كرامتها وسمعتها .

قال له (عمر) بلا مبالاة :

ـ إذن فقد غادرت المنزل .

ـ أهذا هو ما تريده ؟

ـ ولماذا أريد ذلك ؟ أعنى ما مصلحتى فى أن تغادر منزلك ؟ لقد أخبرتها بما أراه وأسمعه .. ولم أرد من ذلك سوى قول كلمة الحق ، وأن أكون منصفًا بالنسبة للفتاة .



ـ متى وأين سمعت هذه الأقاويل ؟ ثم منذ متى كنت منصفًا ومثاليًا فى أقاويلك وتصرفاتك .

ـ لا .. لا يا (صلاح) إنك تهيننى هكذا .

ـ هل تنسى أنها تقوم على رعاية ابنتىَّ ؟ وأنها أسهمت فى إنقاذهما من مرارة اليتم بعد وفاة أمهما ؟

ـ هذا دور كانت تستطيع أن تقوم به أية مربية .. لكن ما ذنب هذه الفتاة المسكينة لتحرمها من حقها فى أن تعيش حياتها كأية فتاة أخرى ؟ من حقها أن تحب وأن تتزوج وأن يكون لها منزلها الخاص بها بدلًا من أن تستبقيها لكى ترعى ابنتيك وتخضعها لأنانيتك .

قال له (صلاح) وقد أثارته هذه الكلمات :

ـ أنا ؟ أتظن أننى أعمد إلى ذلك ؟

ـ سواء كنت تعمد إلى ذلك أم لا .. فهذا هو الواقع الذى يتعين عليك أن تعترف به .. أنت لا تعبأ بها ولا بمشاعرها بقدر اهتمامك بما تحققه لك من مصلحة .

ـ إننى لن أنتظر الموعظة من شخص مثلك .

ـ ربما أننى أحمل الكثير من الصفات السيئة .. لكننى لست أنانيًا مثلك .

ـ إذن لعلمك لقد أخبرتها بأنها تستطيع أن ترحل لو أرادت ، وأننى لن أقف عقبة أمام رغبتها فى مغادرة المنزل ، لو كانت ترى أن فى بقائها ما يمكن أن يسىء إليها .. لكنها أصرت على البقاء ورفضت أن تبتعد عن المنزل وعن الطفلتين .

قال له (عمر) بلهجة تهكمية :

ـ إذن فقد لعبت على الوتر الحساس يا ابن خالتى العزيز .. تعلقها بالطفلتين .. وكنت تعرف أنها لن ترحل حتى لو طلبت ذلك منها بسببهما .. إنه نوع من استغلال المشاعر .

قال له (صلاح) وقد ازدادت عصبيته :

ـ استغلال المشاعر .. إنك تعرف جيدًا كيف تستغل المشاعر .. فقد استغللت مشاعر الكثيرات من قبل بأساليبك الملتوية .. قل إنك تريد إبعادها عن هذا المنزل لكى تتاح لك الفرصة لمطاردتها ، وفرض سخافاتك عليها بعيدًا عن أعيننا .

لقد لاحظت ذلك ولاحظته خالتك أيضًا .. إنك تحاول التلاعب بعواطف هذه الفتاة .. فهذه هى لعبتك المفضلة .. لكنى لن أسمح لك بذلك .. فهذه الفتاة تقع تحت



مسئوليتى .. إنها أخت المرحومة زوجتى .. وبذلك فهى فى حكم أختى تمامًا .

ابتسم (عمر) وهو ينظر إليه قائلًا :

أهذا ما تظنه حقًا ؟

ـ بل هذا هو ما أثق به .

قال له (عمر) بجدية :

ـ وإذا قلت لك إن الأمر يختلف بالنسبة لهذه الفتاة .. وأنها أفضل من أية فتاة عرفتها من قبل .

ـ لن أصدقك بالطبع .. إن ما يدهشنى حقًا أنها ليست من طراز الفتيات اللاتى يثرن اهتمام شخص مثلك .

ـ لماذا ؟ لأنها ليست جميلة بالقدر الكافى .. قد أخالفك فى هذا الرأى يا ابن خالتى العزيز لأننى أرى فيها جانبًا من الجمال الأنثوى قد لا يبدو ملحوظًا بالنسبة لك .

وعلى كل حال فالجمال الشكلى ليس هو كل شىء .

ـ ليس هذا ما أقصده فقط .. إننى أعنى .. أعنى ..

ـ تعنى أنها ليست مغرية بالقدر الكافى ، ولا تلجأ إلى الأساليب التى تتبعها بقية الفتيات الأخريات فى جذب انتباه الرجال .. ربما كان هذا هو ما يعجبنى فيها .. الصدق .. البراءة .. والبعد عن الزيف .

قال له (صلاح) ساخرًا :

- إن من يسمعك تتحدث هكذا يظن أنك ترغب فى أن تتزوجها .

قال له (عمر) بلهجة أكثر جدية :

- نعم .. إننى أرغب فى الزواج منها .. هذا هو ماكنت أزمع أن أحدثك فيه قبل حضورك إلى هنا .

تطلع إليه (صلاح) بدهشة وهو يتراجع خطوتين إلى الوراء .. وكأنه لايصدق ماسمعته أذناه :

ثم مالبث أن أطلق ضحكة مجلجلة قائلًا :

- تريد الزواج من (ميرفت) .. لم أكن أظن أنه يمكنك أن تهزل إلى هذا الحد !

وتغيرت ملامح وجهه وهو يردف قائلًا بغضب :

- ولكننى أريد منك أن تتوقف عن الهزل عند هذا الحد .

قال له (عمر) بهدوء :

- لكننى لا أهزل .. إننى أرغب فى الزواج منها بالفعل .

- أنت ؟.. أنت تتزوج .. وممن ؟ من (ميرفت) ؟

- وما الغريب فى ذلك ؟



- مازلت أعتقد أنك لاتأخذ الأمر على محمل الجد .

- (صلاح) .. إننى لم أكن جادًا مثل الآن .. أريد الزواج من (ميرفت) .. إننى لم أحادثها فى هذا الشأن .. لأننى حتى الأمس لم أكن قد حسمت الأمر بينى وبين نفسى .. لكنى واثق من قرارى الآن .

- ولماذا هى بالذات ؟

قال له (عمر) باستنكار :

- لأنها الفتاة التى تناسبنى .

صمت (صلاح) وقد بدت عليه الحيرة .. فعاد (عمر) ليقول له :

- ماذا قلت ؟

- أعتقد أنها هى صاحبة القرار فى هذا الشأن .. ولكن عليك أن تتروى وتعيد التفكير فى الأمر .. قبل مفاتحتها فيه .. فربما كان قرارك هذا وليد نزوة أو اندفاع .

- أؤكد لك أن هذا ليس صحيحًا .. وأنه أعقل قرار اتخذته فى حياتى .

★ ★ ★

تأملها وهى تداعب طفلتيه وقد ارتسمت ملامح الحيرة على وجهه .

وما إن رأته حتى همست للطفلتين قائلة :

ـ هيًا .. ألا ترحبان بأبيكما ؟

وانطلقت الطفلتان لتحيطا بأبيهما الذى حملهما بين ذراعيه ، وهو يقبلهما ، ثم ما لبث أن أنزلهما إلى الأرض قائلًا :

ـ أين أمى ؟

سمعها تقول له وهى تأتى من الغرفة المجاورة :

ـ أنا هنا يا (صلاح) .

حياها (صلاح) .. ثم التفت إلى (ميرفت) قائلًا :

ـ دعى الطفلتين تلعبان هنا وتعالى معى إلى حجرة المكتب .

نظرت إليه (ميرفت) بدهشة وهى تتساءل عن سر هذه الدعوة المفاجئة .. وملامح التجهم المرتسمة على وجهه .

بينما استطرد قائلًا لأمه :

ـ وأنت أيضًا يا أمى أريد أن تأتى معنا .

وما إن دخلوا إلى الحجرة حتى طلب منهما إغلاق الباب .. ثم نظر إلى (ميرفت) قائلًا :

ـ لقد قابلت (عمر) اليوم .. فهل تعرفين ماذا قال لى ؟

قالت له (ميرفت) :



ـ وكيف يمكننى أن أعرف ؟

ـ عندما أتى إلى هنا فى المرة السابقة .. ألم يتحدث إليك فى شىء أو يلمح لك بشىء .

ـ ماذا تقصد ؟

سألته الأم قائلة :

ـ ماذا حدث يا بنى ؟

التفت إليها (صلاح) قائلًا :

ـ لقد طلب منى (عمر) اليوم أن يتزوج من (ميرفت) .

ازدادت دهشة الفتاة وقد فوجئت بما قاله ، فى حين شاركتها الأم دهشتها وهى تسأله قائلة :

ـ ماذا تقول !

ـ أقول إن (عمر) طلب الزواج من (ميرفت) .

ونظر إلى (ميرفت) وهو يردف قائلًا :

ـ وسألنى أن أنقل إليك رغبته هذه .. وهو الآن فى انتظار ردك .

خيم الصمت على الفتاة وهى لا تدرى ماذا تقول .

بينما عاد (صلاح) ليقول لها :

ـ ما رأيك يا (ميرفت) ؟

تلعثمت وهى تردّد بارتباك :

- إننى .. إننى ....

تدخلت الأم فى الأمر قائلة :

- أتظنه جادًا فى هذا الطلب ؟

جلس (صلاح) فوق أحد المقاعد وهو يقول :

- نعم .. لقد كان جادًا فى طلبه هذا .

- ولكن (عمر) ...

- إن (ميرفت) تعرف (عمر) كما نعرفه تمامًا .. وعلينا ألا نتدخل فى هذا الأمر فالقرار فى هذه الحالة قرارها .

قالت له (ميرفت) وهى مرتبكة :

- ولكن لماذا اختارنى أنا بالذات ؟

- لأنه يراك مختلفة عمن عرفهن من الفتيات .

- على كل حال إننى لا أفكر الآن فى الزواج .

تدخلت الأم مرة أخرى قائلة :

- تروى قليلًا .. قبل أن تقررى أمرًا كهذا .. إذا كان (عمر) جادًا بهذا الشأن فما الذى يمنع من زواجك به ؟

- ليس للأمر علاقة بـ (عمر) أو غيره .. كل ما هنالك أننى غير مستعدة للزواج الآن .



قالت لها الأم محتجة :

- ومتى تكونين مستعدة إذن ؟.. آسفة إذا كان كلامى هذا سيجرحك .. لكننى أعدك مثل ابنتى .. إنك الآن فى الثلاثين من عمرك .. وهذه سن حرجة للغاية بالنسبة لفتاة لم تتزوج بعد .

بدا أن هذه العبارة قد أصابت وترًا حساسًا فى نفسها .. فقالت لها وهى تحاول إخفاء مشاعرها :

- إن مصير الفتاة لا يقرره الزواج من عدمه .. ولن تتوقف الحياة بى إذا لم أتزوج .

وتدخل (صلاح) قائلًا :

- أنا متفق مع (ميرفت) يا أمى .. إذا لم تكن ترغب فى الزواج الآن فعلينا ألا نضغط عليها .. ثم إذا أردت رأيى الشخص فإن (عمر) ليس هو الشخص المناسب لفتاة مثلها .

وأخشى ألا يكون الأمر بالنسبة له ليس سوى مجرد نزوة طارئة .. ونحن لن ندع (ميرفت) تحت رحمة نزوات شاب طائش مثله .

نظرت إليه الأم شذرًا وهى تقول :

- ظننت أنك قلت منذ قليل إنك ستكون محايدًا فى هذا الشأن .. وإنك ستدع (ميرفت) تأخذ قرارها بنفسها .

نظر (صلاح) إلى (ميرفت) قائلًا :

- لكنها أعلنت لنا عن قرارها .. أليس كذلك ؟

واستأذنت (ميرفت) منهما لتتصرف .. لكن الأم استوقفتها قائلة :

- مرة أخرى أدعوك إلى التروى والتفكير يا بنيتى .. وتذكرى أن شابًا مثل (عمر) برغم كل مساوئه ، عندما يفكر فى الزواج من إنسانة مثلك ، فإن هذا يكون بداية منه لتصحيح كل أخطائه السابقة .. وربما كان زواجه من فتاة مثلك سببًا لإحداث انقلاب كبير فى حياته .

* * *





## ٩ - ابتسامة خلّابة ..

سألته أمه قائلة :

لماذا فعلت ذلك ؟ لماذا تحاول أن تحرمها من فرصتها فى الزواج وممارسة حياتها الطبيعية كأية فتاة أخرى ؟

نظر إليها (صلاح) باستغراب قائلًا :

- هل كنت تريدين منى أن أجبرها على الزواج من شخص لا تريده ؟

- (صلاح) .. هل تخدعنى ؟ أم تخدع نفسك ؟ لقد حرضتها بصورة مباشرة على عدم الموافقة على هذا الزواج .. وذلك إرضاءً لأنانيتك .. ولأنك تريد أن تحتفظ بها فى هذا المنزل من أجل رعاية ابنتيك .

قال لها (صلاح) بعصبية :

- كفى يا أمى .. لماذا تهاجموننى هكذا ؟ إننى لم أخدع أحدًا .. كل ما هنالك أننى رفضت أن أضغط عليها لقبول زواج ترفضه .

- أنت تعرف لماذا ترفض هذا الزواج .

- لأنها غير راغبة فى الزواج الآن .

- بل لأنها متعلقة بأمل أن تكون زوجها يومًا من الأيام .

- أعتقد أننا قد فرغنا من مناقشة هذا الأمر من قبل .

- لكننا لم نحسمه .

- إننى لا أفكر فى الزواج منها أو من غيرها .

- إذن لِمَ لا تطلق سراحها ؟

- إننى لا أكبلها بالقيود .

- بل لديك قيدان حديديان تكبلها بهما وهى (رشا) و (منى) .

- إنها تحب البنتين .

- هذا ليس مبررًا لكى تحرمها من حقها فى الزواج وفى الإنجاب .

- قلت لكِ إننى لا أجبرها على شىء .

صاحت الأم قائلة :

- أنت تفعل ما هو أسوأ من ذلك .. أنت تستغل مشاعرها ..

صاح (صلاح) بدوره قائلًا :

- أتريدين منى أن أطردها من هذا المنزل لكى تستريحى ؟



أجابته الأم بهدوء قائلة :

- أريد منك فقط أن تكون منصفًا فى حقها .. ولاتدع أنانيتك تحكم علاقتك بها .

إذا لم تكن تفكر فيها كزوجة .. فلا تحرمها من هذا الحق لو واتتها الفرصة لذلك .. على الأقل لا تشجعها على الرفض .

إنها أخت المرحومة (سلوى) إن كنت قد نسيت ولا أظن أنها كانت ستقبل أن تكون راحة ابنتيها على حساب مستقبل وسعادة أختها .

وتركته وانصرفت وقد تملكته مشاعر شتى ومتناقضة .

★ ★ ★

دخلت عليه سكرتيرته الحجرة قائلة :

- هنا سيدة ترغب فى مقابلتك .

سألها (صلاح) قائلًا :

- سيدة .... من هى ؟

- إنها تقول إنها حرم المرحوم (نور السويفى) .

حاول (صلاح) استرجاع الاسم فى ذاكرته .. قائلًا :

- (نور السويفى) .. آه تذكرت !.. دعيها تدخل .

ونهض ليستقبلها بحرارة قائلًا :

ـ أهلًا وسهلًا يا فندم .

لكن الكلمات توقفت فى حلقه حينما شاهدها .. كانت المرأة الواقفة أمامه رائعة الجمال .: بقامتها الرشيقة وأسنانها اللؤلؤية وقد افتر ثغرها عن ابتسامة خلابة .. وهى تمد له يدها لتصافحه قائلة .

ـ أهلًا بك يا أستاذ (صلاح) ..

وأحس باضطراب شديد لملمس يدها البضة .. وقد بدت له أصابعها الرقيقة وكأنها جمرات ملتهبة بين أصابعه .

لم يتمالك نفسه من أن يتأملها فى إعجاب على نحو أربكها وجعله لاينتبه لواجبات الضيافة .

وما لبثت أن ضحكت قائلة :

ـ هل سنظل واقفين هكذا ، أم أنك ستدعونى إلى الجلوس ؟

قال لها سريعًا وهو يحاول السيطرة على نفسه :

ـ آه !.. بالطبع .. تفضلى .

سألها قائلًا وهو عاجز عن مقاومة إعجابه الشديد بها :

ـ أى خدمة يمكننى أن أؤديها لك يا مدام ...؟



أجابته قائلة :

ـ (كوثر) .. اسمى (كوثر) .. فى الحقيقة لقد توفى زوجى منذ عامين ، وخلال هذه الفترة كانت هناك بعض المشاكل العائلية حول تقسيم التركة وتوزيع الأنصبة .. إلى آخر تلك الأمور التى تعرفها .

والحمد لله .. فقد استقرت الأوضاع وتحددت أنصبة كل شخص سواء بالنسبة لى أو بالنسبة لإخوة زوجى .

وقد علمت أن زوجى كان يمارس نشاطًا تجاريًا محدودًا من خلال شركتكم ، حيث كنتم تتولون أمر هذا النشاط مقابل حصة من الأرباح .

ـ نعم كان المرحوم زوجك أحد عملائنا .

سألته قائلة :

ـ لقد جئت لأعرف إذا كان يمكننى أن أحل محله فى هذا الشأن ؟.. وما هى الشروط المطلوبة لذلك ؟

قال لها (صلاح) بتحرج :

ـ فى الحقيقة .. لقد توقفنا منذ فترة عن تولى أنشطة عملاء خارجيين .. وشركتنا الآن تمارس جميع الأنشطة التجارية الخاصة بها فقط .

قالت له وقد ارتسمت على وجهها ملامح الأسف :

ـ يؤسفنى ذلك .. فأنا أرغب فى استثمار المال الذى آل إلىّ من إرث زوجى .

ـ كان بودى مساعدتك .. ولكن ....

وصمت برهة .. وقد بدا وكأنه تذكر أمرًا .. ثم قال :

ـ ولكن يمكنك أن تشترى سهمين أو ثلاثة من أسهم شركتنا .. إنها يمكن أن تدر عليك دخلًا طيبًا .. وإن كنت أود أن أحذرك من أن أوضاع الشركة مذبذبة هذه الأيام .

قالت له بصوت عذب :

ـ إن كل ما أبغيه هو استثمار المبلغ البسيط من المال الذى حصلت عليه قبل أن يتبخر من يدى .. خاصة أنه ليست لى أية موارد مادية أخرى عدا هذا المبلغ .. وأنا تقريبًا امرأة وحيدة بعد وفاة زوجى وليس لى أقارب سوى أخ واحد يقيم فى أمريكا منذ فترة طويلة .

سألها (صلاح) قائلًا :

ـ أليس لك أولاد ؟

أجابته قائلة :

ـ نعم .. لم ننجب أنا وزوجى أى أبناء .

كانت عيناها جميلتين للغاية بلونهما الفيروزى .. كما أن شعرها الأسود الفاحم الذى كان ينساب فوق كتفيها بنعومة أضفى عليها مزيدًا من الفتنة خلبت لبه .



إنها أول امرأة تحدث فيه هذا الأثر القوى .. وتحرك أحاسيسه منذ اللقاء الأول هكذا .

ربما كانت زوجته قد أحدثت فيه مثل هذا الأثر .. ولكن بشكل مختلف ..

كانت (سلوى) قادرة على أن تثير مشاعر رومانسية حالمة برقتها وجمالها الهادئ الأخاذ ..

أما هذه المرأة فإن جمالها من النوع الذى يخطف الأبصار من الوهلة الأولى ، ولايتيح للمرء فرصة أن يحكم على حقيقة مشاعره .

إن كل ما يحسه الآن هو أنه ينجذب إليها على نحو يصعب توضيحه وتبيّن دوافعه .

قال لها :

ـ لقد كانت صلتى بالمرحوم زوجك طيبة للغاية .. لذا تستطيعين أن تعتمدى علىّ فى هذا الأمر .. فسوف أدبّر لك الطريقة المثلى لاستثمار مالك حتى لو اضطررت إلى مخالفة قواعد الشركة الجديدة .

ابتسمت له فى دلال قائلة :

ـ هذا كرم عظيم منك .

ـ إن واجبى أن أساندك .. وتأكدى أنك لن تكونى وحيدة بعد اليوم .

قالت له وقد ازداد صوتها دلالًا :

ـ أعتقد أننى لن أكون كذلك بعد اليوم .. فأنت شخص يوحى بالثقة ويمكن لأى امرأة أن تعتمد عليه وهى مطمئنة تمامًا .

ابتسم فى حرج قائلًا :

ـ أشكرك .. إنك تسبغين علىّ من الصفات ما لا أستحقها .. وكما قلت لك فإننى لن أفعل سوى الواجب ..

سألته قائلة :

ـ متى يمكننى أن أقابلك مرة أخرى لأعرف ما الذى قررته فى هذا الشأن ؟

ـ يمكننا أن نلتقى بعد الغد .

قالت له بلهجة ذات مغزى :

ـ هنا فى مكتبك ؟

ـ نعم .. لو أردت .

قالت له بجرأة :

ـ ألا يمكن أن نلتقى فى مكان آخر بعيدًا عن هذه الغرفة ؟

ارتبك (صلاح) لجرأتها المباغتة قائلًا :

ـ ما هو المكان الذى تفضلينه ؟



أجابته قائلة :

ـ أى مكان آخر تختاره ويكون فى الهواء الطلق .. فإننى أكره الغرف المغلقة .

قال لها وقد ازداد ارتباكه :

ـ فى الحقيقة ليس فى ذهنى الآن مكان محدد ....

قاطعته قائلة وهى تتماوج فى وقفتها :

ـ سأتصل بك غدًا لنتفق على المكان والزمان .

ومدت له يدها البضة ذات الأصابع النارية لتصافحه مرة أخرى .

ووجد فى نفسه الجرأة لكى يحتفظ بها بين يديه وقتًا أطول ، برغم ارتجافة أصابعه .. ولم يجد منها ممانعة فى ذلك .

وعندما غادرت حجرته ، تهالك فوق مقعده وقد أحس بأنه بحاجة لبضع دقائق لكى يستعيد خلالها توازنه .

وبعد قليل دخل عليه صديقه ، ومدير أعماله (مصطفى) قائلًا :

ـ من أين أتى هذا الصاروخ البشرى الذى غادر مكتبك منذ لحظات ؟

أجابه (صلاح) بصوت شبه حالم :

ـ إنها (كوثر) .

نظر إليه (مصطفى) باستغراب قائلًا :
ـ ومن هى (كوثر) ؟
ـ إنها حرم المرحوم (نور السويفى) .. الذى كان يعمل معنا منذ بضع سنوات .
ـ لا عجب فى أنه قد أصبح مرحومًا .. فمن ذا الذى يستطيع تحمل الحياة مع صاروخ بشرى متحرك مثل هذه المرأة ؟!
نهره (صلاح) قائلًا :
ـ لا تكن وقحًا .
ـ رفع (مصطفى) يده معتذرًا وهو يقول :
ـ حسن .. لكنها جميلة بشكل غير عادى .. ربما كان من الغباء حقًّا أن يموت المرء تاركًا وراءه امرأة لها كل هذا القدر من الجمال .
ولكن قل لى ما الذى جاء بها إلى هنا ؟
ـ إنها تريد أن تمارس نفس النشاط التجارى الذى كان يمارسه زوجها من خلال شركتنا .
ـ لكننا توقفنا عن التعامل مع عملاء خارجيين عن الشركة منذ عدة سنوات .
ـ من الممكن أن نستثنى السيدة (كوثر) من هذه القواعد .



قال له (مصطفى) بدهشة :
ـ ماذا ؟ لكنك كنت حاسمًا بشأن الأوضاع الجديدة للشركة وعدم السماح بأية استثناءات !!
قال له (صلاح) بحزم :
ـ إننا نضع القواعد هنا .. كما يمكننا أن نضع الاستثناءات .. وعليك أن تنفذ ما أقوله .. خاصة أن زوجها كان عميلًا قديمًا لشركتنا .
قال له (مصطفى) بسخرية :
ـ سواء كان زوجها عميلًا قديمًا أم لم يكن .. فلا بأس من مخالفة القواعد .. إذا كان العميل الجديد من نوعية هذه السيدة الفاتنة .

* * *

## ١٠ ـ الضيفة ..

طالعته بابتسامتها الجذابة قائلة :

ـ لم أكن أظن أنك ستنجز لى ما أردت بهذه السرعة الفائقة .

قال (صلاح) :

ـ لم أكن لأخيب ظن سيدة جميلة مثلك .

تظاهرت بالخجل قائلة :

ـ أستاذ (صلاح) .. إنك تحرجنى هكذا .

ـ أرجوك .. لا داعى لهذه الرسميات .. ليتك تدعيننى (صلاح) وأدعوك (كوثر) .. إن هذا يجعلنا نشعر بأننا لسنا غريبين ..

ـ فى الحقيقة .. منذ أن التقيت بك يا (صلاح) .. وأنا لا أشعر أننى غريبة عنك .

ـ هذا نفس شعورى أيضًا .

ـ لا أدرى كيف استطعت أن تكسب ثقتى بمثل هذه السرعة ؟

ـ يسعدنى أننى استطعت أن أحوز ثقتك .



ـ ولأثبت لك ذلك .. سأعمل لك توكيلًا لإدارة نشاطى التجارى الذى سيعمل من خلال شركتكم ، وإيداع أرباحه فى البنك باسمى .

سألها (صلاح) بدهشة قائلًا :

ـ ولكن لماذا التوكيل ما دمت تستطيعين تولى ذلك بنفسك ؟

ـ فى الحقيقة إننى أفكر فى السفر لأخى فى أمريكا ، والاستقرار هناك لفترة من الوقت ، أقرر خلالها ما إذا كنت سأعود إلى مصر أم أهاجر بصفة نهائية إلى أمريكا .

قال لها وقد وضح أن ما قالته قد أزعجه :

ـ وما الذى يدعوك إلى السفر لأمريكا .. ما دام قد تم توظيف مالك على نحو جيد واستقرت بك الأمور هنا ؟

أطلقت تنهيدة قصيرة قائلة :

ـ إن الأمور لم تستقر بى هنا تمامًا .. والمال ليس هو كل شىء فى هذه الدنيا .

ـ ولكنك تملكين ما هو أكثر من المال .. إنك إنسانة جميلة وبك العديد من المزايا .

قالت له بلهجة تعمدت أن تبدو حزينة :

ـ ومع ذلك فإننى أعانى الوحدة والفراغ .

نظر إليها بدهشة قائلًا :

ـ إنسانة مثلك وتعانى الوحدة والفراغ ؟!

ـ إذا كان السبب فى دهشتك هذه كونى امرأة جميلة كما قلت .. فالجمال أحيانًا يكون نقمة بالنسبة لامرأة مثلى .. خاصة إذا كانت متمسكة بالحفاظ على الشرف ، وتأبى على نفسها أن تكون مطمعًا لكل من يهدف إلى استغلال وحدتها ، وثرائها المحدود وجمالها ..

ـ ولكن هناك عشرات من الرجال يتمنون الزواج منك .

ـ الزواج أيضًا يكون أحيانًا صورة من صور الطمع .. إننى لم أتزوج المرحوم ( نور ) عن حب .. وكان يكبرنى بأعوام كثيرة ، لقد استهواه فىّ أننى كنت فتاة جميلة وفقيرة .. وكان هو يملك المال ، الذى اكتشفت فيما بعد أنه كان مصدر أطماع الكثيرين ممن تربطهم صلة بـ ( نور السويفى ) .

لا أقول لك إننى عشت معه حياة قاسية وإنه كان مثالًا للرجل الأنانى الذى لا يعنيه سوى تحقيق أغراضه المادية والدنيوية .. بل كان بيننا احترام وتقدير متبادل .. ولكن لم يكن بيننا حب .. وتعودت على أن أحيا معه بلا مشاعر .

وأنا الآن لست مستعدة لتكرار هذه التجربة .



ـ إننى أقدر دوافعك .. لكن الحياة لم تخلُ من رجال تستطيعين أن تبادليهم الحب والمشاعر الصادقة .

ـ أعتقد أنهم قد أصبحوا نادرين فى هذا الزمان .

ـ لو بحثت لوجدت ..

ـ وما الذى يدعونى إلى البحث ؟.. لقد نلت نصيبى من الحياة .

ـ لكنك كما قلت تعانين الوحدة .

ـ ربما لأننى هنا بلا أقارب وبلا أبناء .. ومعارفى القليلون هنا ليسوا من ذلك النوع الذى تستطيع أن تمنحهم ثقتك وتبثهم همومك وأسرارك .

وربما وجدت ما يعوضنى عن ذلك .. عندما أسافر إلى أمريكا وألتقى بأخى هناك .

ـ أنا لا أوافقك على ذلك .

ـ ( صلاح ) .. إنك لم تجرب الوحدة ومعاناتها .

قال لها بصوت حزين ، وهو يستعيد مرارة تلك الشهور التى تلت رحيل زوجته :

ـ بل جربتها وعشتها بعد رحيل زوجتى عن الحياة .

سألته قائلة :

ـ كنت تحبها .

ـ نعم .. كنا متحابين دائمًا .
ـ أنا آسفة .. إذا كنت قد ذكرتك .. لابد أن فراقك لها قد آلمك كثيرًا .
ـ لقد خلّفت فراغًا كبيرًا فى حياتى مازلت أعانيه .. لكنى لم أدع الحياة تتوقف بى .
ـ على الأقل لديك ابنتاك وأمك .. لديك أسرة ترعاها وتشاركك حياتك أما أنا ....
ـ وهل تظنين أن تحمل مسئولية طفلتين فى هذه السن أمر هين ؟ إنها مسئولية كبرى عندما تكون منوطة بالأب وحده دون وجود الأم .
ـ ولكن كما سمعت فإن خالتهما ترعاهما جيدًا .
ـ إنها لن تستمر فى رعايتهما طوال حياتها .. فلابد أنها ستتزوج أو ترحل عن المنزل يومًا ما .
وربتت على يده بحنان قائلة :
ـ إننى أقدر المسئولية الملقاة على كاهلك .. خاصة وأنك رجل عطوف وتحب ابنتيك كثيرًا .
وأحس بالدماء تتدفق فى عروقه من لمستها الحانية .. فتجرأ بوضع يده الأخرى فوق يدها قائلًا بصوت هامس :



ـ عليك ألا تدعى الحياة تتوقف بك يا (كوثر) .. وأن تتغلبى على تلك المشاعر السوداوية التى تحاول أن تتسلل إليك .
سألته قائلة وهى تتجاوب مع لمسته :
ـ (صلاح) .. هل يمكننى أن أرى ابنتيك ؟
فوجئ (صلاح) بما طلبته منه .. لكنه أبدى ترحيبه قائلًا :
ـ يسعدنى ذلك .
قالت له باندفاع :
ـ إذن .. هيا بنا .
نظر إليها بدهشة قائلًا :
ـ إلى أين ؟
ـ إلى منزلك لألتقى بابنتيك .
قال لها وقد ازدادت دهشته من اندفاعها هذا :
ـ الآن ؟!
ـ نعم .. إننى أتوق إلى الالتقاء بهما .
ـ ولكن ....
جذبته من يده قائلة :
ـ لا يوجد ما يدعو إلى التردّد .. إلا إذا كنت تجد حرجًا فى أن تسمح لى بمقابلتهما .

- أبدًا .. ولكنى كنت أفضل لو جلسنا معًا بمفردنا لفترة أطول .

قالت له بدلال :

- ستكون لدينا فترات كثيرة لنجلس بمفردنا معًا فى المستقبل .

- إذن لحظة واحدة حتى انتهى من دفع الحساب .

وبينما كان يقود سيارته استوقفته قائلة :

- (صلاح) .. من فضلك .. هل يمكنك أن تتوقف هنا لحظة واحدة ؟

- لماذا ؟

- فقط توقف لو سمحت .

وأطاعها (صلاح) ففتحت باب السيارة لتغادرها :

- انتظرنى هنا قليلًا .

سألها بدهشة قائلًا :

- إلى أين ستذهبين ؟

- ستعرف عندما أعود .

ووجدها بعد قليل وهى تعود ، حاملة لفافتين كبيرتين فى يدها قائلة :

- هل ستتركنى هكذا ؟ ألن تفتح لى باب السيارة الخلفى حتى أضع ما فى يدى ؟



سارع بفتح الباب الخلفى لسيارته قائلًا لها :

- ما هذا ؟

- لقد أحضرت لعبتين صغيرتين لـ (رشا) و (منى).

ابتسم قائلًا :

- أو تسمين هذين لعبتين صغيرتين .

ثم أردف قائلًا :

- ما كان يتعين عليك أن تفعلى هذا .

- ولِمَ لا ؟ لقد أحببت ابنتيك من قبل أن أراهما .. ولا أجد ما يمنع من تقديم هدية بسيطة كهذه لهما فى أول لقاء لى بهما .

ثم أردفت قائلة :

- والآن .. هل ستظل تحدق فىَّ هكذا ؟.. أم ستقود سيارتك ؟

كانت الأم جالسة مع (ميرفت) فى الردهة .. فى حين افترشت الطفلتان الأرض ، وهما تلعبان ببعض الدمى ، حينما فتح باب المنزل ليدخل منه (صلاح) وهو يبتسم لهما قائلًا :

ـ مساء الخير .. معى ضيفة تريد أن تلتقى بكما .
وبدت ملامح الدهشة والفضول على وجوه الجميع ، وهم يتطلعون إلى الباب .. فهذه هى المرة الأولى التى يأتى فيها (صلاح) بسيدة إلى هذا المنزل .. ليدعوها إلى ضيافته دون أن يخطر أحدًا بذلك .
وما لبثت أن دخلت (كوثر) وهى تبتسم لهم قائلة :
ـ مساء الخير ..







## ١١ ـ مصيدة الحب ..

قدمت (كوثر) اللفافتان إلى (صلاح) ليحملهما .. ثم تقدمت نحو والدته قائلة باحترام :
ـ لابد أن حضرتك والدة (صلاح) .
استغربت الأم عندما رأتها ترفع الكلفة هكذا فى حديثها عن ابنها .
بينما أردفت (كوثر) قائلة :
ـ إننى سعيدة للغاية بلقائك .
قالت لها الأم بصوت ينم عن حيرتها :
ـ أهلًا بك يا بنيتى .
ثم نظرت إلى (صلاح) قائلة :
ـ ألا تعرفنا بضيفتك ؟
ـ مدام (كوثر) .. عميلة لنا فى الشركة وحرم المرحوم (نور السويفى) .
تقدمت (كوثر) بلا كلفة نحو البنتين لتحتضنهما قائلة :
ـ أما أنتما .. فأنا أعرفكما .. لابد أنك (رشا) .. وأنت (منى) .

هلا رأيتما ما الذى أحضرته لكما طنط (كوثر) معها .

وتناولت اللفافتين من (صلاح) لتفضهما ، وتقدم لهما الدمى الجميلة التى أحضرتها .

وبدت الطفلتان مشدوهتين بالدميتين اللتين أحضرتهما، فاقبلتا عليهما فرحتين ومهللتين .

كانت (ميرفت) واقفة تتطلع إليها بشىء من الخوف وعدم الارتياح ، وقد أخذت تتساءل عن علاقة (صلاح) بها .. وهذه الجرأة التى جعلتها تعامل الطفلتين كما لو كانت تعرفهما منذ فترة طويلة .

وما لبثت أن التفتت (كوثر) إليها قائلة :

ـ أنت (ميرفت) .. خالة البنتين ، أليس كذلك ؟

قالت لها (ميرفت) باستغراب :

ـ هل تعرفيننى ؟

ـ لقد حدثنى (صلاح) عنك .. وأثنى على الجهد الذى تبذلينه مع (رشا) و (منى) .

قالت لها (ميرفت) وعلى وجهها ملامح التجهم :

ـ أنهما ابنتى المرحومة أختى .. بل إننى أعدهما ابنتىَ .

قالت الأم لـ (صلاح) الذى كان واقفًا فى مكانه وهو يشعر بارتباك :



ـ ألا تدعو ضيفتك للجلوس ؟

قال (صلاح) سريعًا :

ـ آه .. طبعًا .. طبعًا .

ودعتها الأم للجلوس قائلة :

ـ تفضلى يا بنيتى .

راقبتها (ميرفت) جيدًا .. كانت جميلة .. بل فاتنة .. وتملك كل مقومات الدلال والأنوثة .. ولا تكف عن الضحك وإبراز مفاتنها .. إنها الأشياء التى تخلب لب أى رجل .

وعندما نظرت إلى (صلاح) أدركت تلك الحقيقة بوضوح .. لقد كان مفتونا بها .. لم تستطع أن تقاوم إحساسها بالغيرة .

ليست غيرتها على (صلاح) فقط بل على البنتين أيضًا .. فقد بدت هداياها ضئيلة للغاية بالمقارنة بتلك الدمى التى أحضرتها تلك المرأة .

راقبت محاولتها التقرب للطفلتين ، والمبالغة فى إظهار عاطفتها نحوهما فقادتها الغريزة إلى الاحساس بالخطر .

نعم .. لقد أحست بالخطر تجاه هذه المرأة .. وتحول هذا الإحساس إلى الخوف .. خوف شديد من أن يكون ما تراه أمامها نذيرًا بانتهاء دورها فى هذا المكان .

حاولت أن تطرد هذا التفكير عن ذهنها وهى تحاول إقناع نفسها بأنه لا يوجد ما يدعو إلى تلك المخاوف .. وأنها تبالغ فى توجسها على غير أساس .. لكنها لم تستطع أن تتغلب على تلك المخاوف والأحاسيس كلما نظرت إليها وإلى (صلاح) وإلى الطفلتين .

تعددت لقاءات (صلاح) بـ (كوثر) بعد ذلك .. وكلما التقيا .. كلما ازداد تعلقًا وافتتانًا بها ..

لقد نجحت تمامًا فى أن تستحوذ عليه ، وعلى مشاعره على نحو كاد معه أن ينسى زوجته الراحلة .

وقد استيقظ هذا الإحساس فى نفسه ذات ليلة فأحس بالذنب .. فمنذ عام واحد لم يكن يظن أن هناك من يمكنها أن تستحوذ على مشاعره هكذا بعد وفاتها .. لكن هذه المرأة شىء مختلف تمامًا ، فلها سحر من نوع خاص لا يمكن مقاومته .. إنه سحر المرأة التى تجيد استغلال أنوثتها .

وبدا (صلاح) عصبيًا حينما تغيبت عن لقائه أسبوعًا كاملًا ، انقطعت خلاله خطوط اتصاله بها .. فلم تكن موجودة فى المنزل حتى يمكنه أن يتصل بها تليفونيًا .. ولم يتمكن من العثور عليها فى أى مكان آخر .



وانعكست عصبيته هذه على كل من حوله فى العمل وفى المنزل وحتى مع ابنتيه .. مما دعا (ميرفت) لكى تسأله قائلة :

ـ هل هناك ما يقلقك ؟

أجابها بوجه متهجم قائلًا :

ـ ما الذى يدعوك إلى ذلك القول ؟

ـ إننى أراك منذ بضعة أيام وقد صرت عصبيًا .

صاح فيها لأول مرة قائلًا :

ـ وما شأنك أنت ؟ ألا تكفين عن التصرف وكأنك ولية أمرى ؟

إنك هنا من أجل رعاية البنتين فقط ، فلا تضمينى إليهما .

لم تصدق (ميرفت) ما سمعته أذناها .. فقد كانت هذه هى المرة الأولى التى يهينها على هذا النحو .

ولم تملك سوى أن تخفض وجهها قائلة له :

ـ آسفة .

ثم سارعت بمغادرة الغرفة .

أحس (صلاح) بعد انصرافها بندم شديد جعله يعض على نواجذه وهو يقول لنفسه :

- تبًا لى .. ماذا فعلت ؟ إنها لا تستحق أن تلقى ذلك منى .

وفكَّر فى اللحاق بها ليعتذر لها .. لكن رنين الهاتف حال بينه وبين ذلك .. تناول سماعة الهاتف وهو فى حالة توتر شديد .

لكنه ما لبث أن هتف قائلًا :

- (كوثر) .. أين أنت ؟ وأين كنت ؟

أجابته قائلة :

- لقد سافرت إلى الإسكندرية .

قال لها فى انفعال :

- هكذا دون أن تخبرينى .

- كنت بحاجة إلى وقت للتفكير والانفراد بنفسى .

- التفكير فى أى شىء ؟

- (صلاح) .. لقد قررت أن أسافر إلى أخى فى (أمريكا) .

- هل ستعودين إلى هذا الحديث مرة أخرى ؟ اسمعى أريد أن أقابلك الآن .

- الآن .. ولكن ...

قاطعها قائلًا :



- لا تقولى شيئًا .. فقط انتظرينى سأمر عليك بسيارتى .. لنذهب معًا إلى أى مكان نستطيع أن نتحدث فيه معًا بهدوء .

وسارع بمغادرة المنزل حيث التقى بها ، وفى لهفة واشتياق حقيقيين قال :

- لقد افتقدتك كثيرًا .

- وأنا أيضًا افتقدتك كثيرًا جدًا .

- إذن .. لماذا تريدين أن تسافرى وتتركينى ؟ ألم تعن لك كل الأيام الماضية وكل مقابلاتنا وأحاديثنا شيئًا ؟

- بل هى تعنى لى الكثير .. ولكن إلى متى سنبقى على هذه الحال ؟ وما نهاية كل هذه اللقاءات والأحاديث ؟

- (كوثر) .. إننى أحبك .

- وأنا أيضًا أحبك يا (صلاح) .. لقد تسلل حبك إلى نفسى سريعًا ومباغتًا ، ولكن لا تنس أننى أرملة .. ولا نستطيع أن نستمر فى مقابلاتنا هذه دون أن يثير ذلك أقاويل الناس ويسىء إلى سمعتى .. أترضى لى ذلك ؟

إننى لا أعرف إلى أين تسوقنى مشاعرى ؟

لقد كنت أفكر فى البداية فى السفر إلى (أمريكا) هربًا من الوحدة والفراغ ، أما الآن فإننى أفكر فى السفر إلى هناك هربًا من حبك .

تناول (صلاح) يدها بين يديه وهو يقول لها بلا مقدمات :

- (كوثر) .. هل تتزوجيننى ؟

ظهرت تعبيرات شتى على وجهها ما بين الفرحة والحيرة قبل أن تقول :

- (صلاح) .. هل تعنى ذلك حقًا ؟

- إننى أعرف أنه من الصعب أن ترحب امرأة بالزواج من رجل يحمل على كاهله مسئولية طفلتين .. ولكنى آمل فى أن تشاركينى هذه المسئولية لو قبلت .

- أنت تعرف كم أحب ابنتيك .. لكنك فجأتنى .

- فكرى فى الأمر .. ثم أخبرينى بقرارك .

ابتسمت قائلة وهى تضغط على يديه .

- لست بحاجة إلى تفكير يا (صلاح) .. إننى موافقة .

وتهلل وجهه قائلًا :

- كم أنا سعيد لسماع ذلك .. إذن نتزوج فى الأسبوع القادم .

- فلنجعله الأسبوع الذى يلى القادم .. فأمامى بعض الترتيبات ، وأنت أيضًا يتعين عليك أن تجرى بعض الترتيبات .. عليك أن تعلمهم بالأمر فى المنزل .

- ما رأيك لو جئت معى لنخبرهم بذلك الآن ؟



- الآن ؟

- نعم .. ألا تحبين المفاجآت ؟

- نعم .. أفضل هذه المرة أن تفعل ذلك بنفسك .. ويمكننى أن آتى معك غدًا .. ولكن يجب أن تعرف أننى سأقضى وقتًا أطول مع البنتين دون أن تشاركنا ذلك ، فأنا بحاجة إلى المزيد من التآلف معهما .

- كلما عرفتك أكثر ، كلما ازددت إعجابًا وتقديرًا لكِ .

وابتسمت له وهى تهنئ نفسها .. لقد نجحت حيلتها وتمكنت من أن تحضر لنفسها طريقًا إلى قلبه وحياته .

إن رجلًا فى مثل ثراء (صلاح) ومركزه الاجتماعى هو الذى سيحقق لها أهدافها الطموح .

فلم تكن لتكتفى بالمبلغ القليل الذى تركه لها زوجها السابق ، بعد أن تحملت متاعب الحياة معه وفارق السن الذى كان يفصل بينهما .. وعداء أسرته لها . وهذه المرة لن تكون بالسذاجة التى كانت عليها فى المرة الأولى .. إنها ستعرف كيف تستغل هذا الرجل وتجعله يؤمن لها حياتها فى حياته قبل موته .

لقد خططت لهذه الزيجة جيدًا ، وعرفت كيف تؤثر عليه وتدفعه إلى الزواج منها ، كما لمست نقاط ضعفه .. وأهمها ابنتاه .. عليها أن تكسب حب هاتين الطفلتين وتشعره

باهتمامها بهما وبتعلقهما بها .. يتعين عليها أن تغدق عليهما الهدايا واللعب وتتظاهر بحبهما ..

والأهم من ذلك عليها أن تبعد تلك الفتاة عنهما .. بل يتعين عليها أن تبعدها عن هذا المنزل .

فكما رأت وسمعت فإن البنتين متعلقتان بها .. كما أنها تستغل كونها أخت زوجته المتوفاة لتوطيد مكانتها فى هذا المنزل .. وهذا له تأثيره على (صلاح) .. لذا فإنها ستعمل على أن تغادر هذه الفتاة المنزل .. وذلك أمر طبيعى ما دامت هى قد أصبحت سيدته .

* * *





## ١٢ ـ أجمل من أحلامى ..

ناداها قائلًا :

ـ (ميرفت) .. أنا آسف على ما بدر منى بالأمس .. لقد كنت متوترًا بعض الشىء ولم أعن ما أقوله .

قالت له بصوت خافت :

ـ إننى أقدر ذلك .

سألها قائلًا :

ـ إلى أين أنت ذاهبة ؟

ـ سأذهب إلى (رشا) و (منى) فى الحديقة .

ـ لا .. إنى أريد أن أتحدث إليك .

ولمح أمه قادمة عبر الردهة فناداها قائلًا :

ـ وأنت أيضًا يا أمى .

نظرت إليه أمه وعلى وجهها ملامح الرضاء قائلة :

ـ إنى أراك على خير حال اليوم .

ـ نعم .. إننى أشعر بأن معنوياتى مرتفعة اليوم كثيرًا .. وهذا ما أردت أن أحدثكما بشأنه .. لقد قررت أن أتزوج .

نظرت إليه أمه بدهشة قائلة :

ـ تتزوج ؟

ـ نعم .

ـ يسعدنى أن أسمع ذلك .. ولكن من هى العروس التى اخترتها ؟

وخفق قلب (ميرفت) بشدة وهى تنتظر سماع إجابته ، بينما قال (صلاح) لها :

ـ (كوثر) .

قالت له الأم وفى صوتها نبرة اعتراض :

ـ (كوثر) ؟! تقصد تلك السيدة التى جاءت لزيارتنا عدة مرات هنا .

ـ نعم يا أمى .. لقد فاتحتها فى الأمر ووافقت .. فما رأيك ؟

قالت له الأم وقد بدا أن ما سمعته جاء مخيبًا لآمالها :

ـ وما قيمة رأيى الآن ؟.. إنه اختيارك .

ـ ولكنك لا تبدين سعيدة لذلك كما قلت منذ قليل .

قالت له الأم :

ـ كنت أفضل أن تتأنى قليلًا قبل أن تقدم على هذا الأمر .



ـ إنها سيدة جميلة ومهذبة وتحب (رشا) و (منى) .

نظرت الأم إلى (ميرفت) بأسى .. ثم قالت له وهى تنصرف :

ـ أفعل ما تراه فى صالحك يا بنى .

أحست (ميرفت) بجرح عميق فى نفسها .. لقد أدركت هذه الحقيقة منذ أن رأت تلك المرأة .. أدركت بأنها تسعى إلى التسلل إليه والسيطرة على مشاعره .. كما أدركت منذ أن رأتها أنها عما قليل لن يكون لها مكان فى ذلك المنزل .

ولم تستطع أن تقاوم ملامح الحزن التى كست وجهها ، وهى تهم بمغادرة المكان بدورها .. لكنه استوقفها قائلًا :

ـ وأنت يا (ميرفت) .. لماذا لم تخبرينى برأيك .

ـ إننى لا أملك إجابة أكثر مما قالته والدتك .. إنه اختيارك . أمسك (صلاح) بمرفقيها قائلًا :

ـ إننى أدرك أن الأمر قد يكون شاقًا عليك .. لأننى سأتزوج من امرأة أخرى بعد وفاة أختك .. ولكن هذه طبيعة الحياة .. إننى بحاجة إلى زوجة وأم .. لابنتىَ .. ولابد أنك تقدرين ذلك .

هزت رأسها قائلة :

ـ نعم .. إننى أقدر ذلك .

ـ أريد أن تتأكدى من شىء واحد .. أن زواجى من (كوثر) لن يجعلنى أنسى (سلوى) أبدًا .. ولن يؤثر فى حبى لها .

وخلصت (ميرفت) مرفقيها من يديه برفق قائلة :

ـ إننى أرجو لك السعادة .. وآمل أن تحقق لك (كوثر) كل آمالك .

★ ★ ★

راقبت (ميرفت) فى الأيام التالية التحول الذى طرأ على علاقتها بالطفلتين ..

لقد بدأتا فى الانصراف عنها ومخالفة تعليماتها وهما يزدادن تعلقًا بـ (كوثر) ، التى دأبت على الحضور إلى المنزل يوميًا وغمرتهما باللعب والهدايا .. كما أنها كانت تلح دائمًا على مصاحبتهما فى نزهات خارجية هما و (صلاح) حتى نجحت تمامًا فى التأثير على مشاعرهما .

إنها تفقد ميرارت وجودها فى ذلك المنزل يومًا بعد آخر .. فلم يعد (صلاح) يشعر بوجودها ولا الطفلتين اللتين بدأتا تتبرمان من القيود التى تضعها عليهما من خلال رعايتها لهما .



الوحيدة التى كانت تشعر بمعاناتها هى الأم .. فقد ظلت ترقبها فى حزن وأسى وقد آلمها أنها لا تجد ما تفعله من أجل التخفيف من هذه المعاناة التى تحاول أن تخفيها .

لقد تمنت (ميرفت) أن تجد فى نفسها القدرة والإرادة على مغادرة هذا المنزل .. خاصة بعد أن اتخذت الترتيبات اللازمة للزواج ، ولكنها ضعيفة أمام حبها للطفلتين .. ولا تتصور نفسها بعيدة عنهما .. ربما أن بقاءها فى ذلك المنزل بعد زواج (صلاح) و (كوثر) لم يعد مبررًا .. ولكنها ستقنع بدور المربية لهاتين البنتين لو سمحا لها بذلك .

قالت لها الأم :

ـ خففى عنك هذا التوتر يا بنيتى .

ـ لقد تأخرت البنتان فى الخارج .. كان يتعين عليهما أن تكونا فى فراشهما منذ ساعتين تقريبًا .

ـ وهل هذه هى المرة الأولى ؟.. لقد اختلت كل القواعد فى هذا المنزل منذ أن ارتبط (صلاح) بهذه المرأة .

ـ أعتقد أنها تحب البنتين .

ـ بل أعتقد أنها تتظاهر بهذا الحب .. وتحاول أن تؤثر على مشاعرهما بهداياها الباهظة الثمن ومصاحبتهما فى تلك النزهات .. دون أن تعبأ بمصلحتهما الحقيقية .

- لا داعى لإساءة الظن بها .

- إننى أعرف أمثال هذه المرأة والطريقة التى يتسللن بها إلى قلوب الرجال والآخرين .. لقد حاولت أن أنبه (صلاح) لذلك ، لكنه يبدو أن الأوان قد فات لذلك .. فقد استطاعت أن تستحوذ عليه تمامًا .

- ليس من الخطأ فى شىء أن تحاول المرأة اكتساب قلب ومشاعر الرجل الذى أحبته .

- أتمنى أن يكون هذا الذى أراه حبًا حقيقيًا .. ولكن من الغريب أن تدافعى عنها ؟

- وما الغريب فى ذلك ؟

- لاشىء .. ولكن ألا ترين أنها تحرمك من البنتين طوال الوقت ؟

تنهدت (ميرفت) دون أن تقول شيئا .

حضر (صلاح) و (كوثر) ومعهما البنتان من الخارج وهم يطلقون الضحكات ، وقد بدت عليهم إمارات المرح والسعادة .

واندفعت الطفلتان إلى الردهة وهما تحملان العديد من اللفائف قائلتين لـ (ميرفت) :

- أرأيت اللعب التى أحضرتها لنا ماما (كوثر) ؟ إنها لعب جميلة للغاية ..



ماما (كوثر) ! إنها المرة الأولى التى تسمعهما ترددان هذه الكلمة لشخص آخر غير أمهما وغيرها .

ولكن ما الضير فى ذلك ؟.. ألن تصبح زوجة أبيهما بعد أيام قليلة ؟!.

قالت البنتان وهما مأخوذتان باللعب التى اشترتها لهما (كوثر) :

- هيا بنا لنلعب بتلك الدمى .

لكن (ميرفت) قالت لهما :

- فلتؤجلا ذلك إلى الصباح .. أما الآن فيتعين عليكما أن تأويا إلى الفراش .. فقد تأخرتما عن موعد نومكما ساعتين .

قالت لها (منى) محتجة :

- لكنى أريد أن ألعب بتلك الدمى قليلًا .

وأيدتها (رشا) فى ذلك قائلة :

- نعم .. إننا لانشعر برغبة فى النوم الآن .

قالت (ميرفت) فى حزم :

- اسمعا الكلام .. هيا لتبدلا ثيابكما وتناما .

قالت لها (كوثر) بلهجة متعالية :

ـ لا أرى مانعًا فى أن تلعبا لبعض الوقت .

ـ إنهما بحاجة إلى الاستحمام والنوم الآن .. وغدًا يمكنهما أن تلعبا كما تشاءان .

ابتسمت (كوثر) قائلة بتهكم :

ـ إنك تبالغين فى اتباع القواعد والالتزام بالتعليمات .

ـ إننى أعمل ما فيه صالحهما .

واصطحبتهما (ميرفت) إلى غرفتهما .. تاركة (كوثر) و (صلاح) بمفردهما فى الردهة .

قالت له (كوثر) بعصبية :

ـ لا .. إن هذا كثير .

ـ ما الذى يضايقك يا حبيبتى ؟

ـ ألا ترى بنفسك ؟.. إن هذه الفتاة تحاول أن تتدخل فى علاقتى بالبنتين .

ـ لا تنس أنها كانت تتولى شأنهما دائمًا .. حتى فى حياة أمهما .

ـ ألا ترى أنه قد آن الأوان لينتهى دورها هنا ؟

ـ ولكن ....

قاطعته قائلة :

ـ (صلاح) .. يتعين أن تكون شئون ابنتيك من اختصاصى الآن .



ـ وما المانع فى أن تساعدك فى ذلك ؟

ـ ولماذا تتمسك ببقائها هنا ؟ ألا تثق بأننى أستطيع أن أتحمل مسئوليتى تجاه البنتين ؟

ـ لم أقل هذا .. لكن الفتاة ليس لها أقارب هنا وأنا أعد نفسى مسئولًا عنها .

قالت له وقد ازدادت عصبيتها :

ـ إننى لا أتحمل وجودها هنا .. ولا أريد أن تبقى فى هذا المنزل بعد زواجنا .. يمكنها أن تذهب عند خالها الذى أخبرتنى عنه من قبل .

ـ إننى لا أعرف ما الذى يضايقك فى وجودها فى هذا المنزل .

قالت له بانفعال :

ـ وأنا لا أعرف ما الذى يجعلك متمسكًا بها هكذا .

حاول أن يهدئ من انفعالها قائلًا :

ـ (كوثر) .. أننى ....

لكنها قاطعته قائلة :

ـ اسمع يا (صلاح) إن زواجنا مرتهن بمغادرة هذه الفتاة للمنزل .

وكانت (ميرفت) واقفة فى أعلى الدرج وقد استمعت لما قالته (كوثر) .

عادت (ميرفت) إلى الحجرة حزينة .. وأقبلت على الطفلتين لتقبلهما وتدثرهما بالفراش .

لكن (رشا) أبعدتها عنها دون أن تسمح لها بتقبيلها قائلة :

ـ لا تقبلينى .. إننى لا أحبك .. لأنك تحرميننا من اللعب وترغمينا على النوم .

وعقبت (منى) قائلة :

ـ وأنا أيضًا .

وأحست بغصة فى قلبها .. حتى الطفلتين اللتين أحبتهما وأخلصت فى رعايتهما ، وأسبغت عليهما من عطفها وحنانها لم تعودا تتقبلان وجودها فى المنزل .

وغادرت الغرفة وهى تلقى نظرة على (صلاح) الذى بدا حائرًا وهو يذرع الردهة جيئة وذهابًا على إثر انصراف (كوثر) .. وقد أدركت أنه قد آن أوان الرحيل .

وفى ساعة مبكرة من الصباح وقبل استيقاظ الجميع ، كانت قد حملت حقيبتها وغادرت المنزل ، بعد أن قبلت الطفلتين النائمتين وألقت عليهما نظرة أخيرة ..



مضى عليها ثلاثة أسابيع فى منزل خالها بدت خلالهما كالزهرة الذابلة .. لم تكن تأكل إلا القليل ، واكتسى وجهها بمسحة من الحزن بعد أن انطفأ بريق عينيها من كثرة البكاء .. فهى تشعر بحنين قوى للبنتين و لـ (صلاح) .. وغدت أيامها بلا معنى ولا هدف منذ أن فارقتهم .

سارت (ميرفت) بين الحقول وهى تتساءل عما يكونون عليه الآن .

تُرى ما الذى تفعله (رشا) الآن بلعبها ؟ وهل لوثت (منى) ثيابها بالشيكولاته التى تحبها ؟ وهل تزوج (صلاح) من (كوثر) ؟

تُرى هل تحسن معاملته ومعاملة ابنتيه ؟ ليتها ترعاهم جيدًا .

لقد أوحشتها الأم أيضًا كثيرًا .. فقد كانت تجد فيها تعويضًا عن أمها التى فقدتها فى سن مبكرة .

وأغمضت عينيها وهى تحاول أن تقاوم حنينها الشديد إليهم .

ولكن ما إن فتحتهما مرة أخرى .. حتى خيل إليها أنها ترى وهمًا أو سرابًا .. لقد بدا لها وكأنها ترى (صلاح) ومعه ابنتاه قادمين نحوها .

وخشيت أن يكون قد أصابها مسّ من الجنون .. وأن تأثرها الشديد لفراق (صلاح) والبنتين قد أثر على عقلها .

لكنها .. سرعان ما أيقنت أن ما تراه حقيقى .. فقد رأت الطفلتين وهما تفلتان من يدى أبيهما وتندفعان نحوها ..

وقد أخذتا تناديانها عليها بذلك النداء المحبب إلى نفسها مرددتين :

ـ ماما (ميرفت) .. ماما (ميرفت) .

غمرتها فرحة هائلة جعلتها تفقد السيطرة على نفسها ، فوجدت العبرات تنهمر من عينيها .. وقد ارتجف جسدها من شدة الانفعال .

واندفعت نحوهما وهى تركض ، محاولة التغلب على انفعالها حتى لا تفقد الوعى ، وتستيقظ فتكتشف أن كل هذا لم يكن إلا حلمًا .

فتحت ذراعيها لهما وهى تحتضنهما وتضمهما إلى صدرها وقد أخذت تغمرهما بالقبلات .. دون أن تجد وسيلة لإيقاف العبرات التى انسابت على وجنتيها بغزارة .

وبادلتها البنتان مشاعرها القوية وهما ترددان :

ـ لقد أوحشتنا كثيرًا يا ماما (ميرفت) .. لماذا تركتنا ورحلت ؟ إننا نريد أن تعودى معنا إلى المنزل .



صافحها (صلاح) وهو يحاول التغلب على مشاعره هو الآخر ، وقد رأى هذا المشهد المؤثر ، والذى يعبر عن مدى العلاقة الوثيقة التى تربط بين هذه الفتاة وابنتيه .

سألها قائلًا :

ـ لماذا تركتنا يا (ميرفت) ؟

أجابته قائلة وهى تمسح أثر العبرات التى انسابت على وجنتيها :

ـ لقد أيقنت أنه لم يعد لى وجود فى منزلك بعد الآن .

ـ لكنك تعرفين مدى أهمية وجودك فى المنزل على الأقل بالنسبة للبنتين .

ـ إن وجودى سيسبب لك ولهما الكثير من المشاكل .

ـ ما كان يتعين عليك أن تغادرى المنزل هكذا دون أن تخطرى أحدًا .

ـ لكنك اتصلت تليفونيًا ، وعلمت أننى موجودة لدى خالى .

ـ لقد التقيت بخالك منذ قليل وستعودين معى إلى القاهرة .

ـ لا يا (صلاح) .. إننى لن أعود معك مرة أخرى .

ـ هل هُنا عليك إلى هذا الحد ؟

ـ يعلم الله كم أحبكم .. وما الذى تعنونه بالنسبة لى .. لذا فلن أرضى أن أكون مصدرًا لمتاعبكم .. إن لديك الآن زوجتك .. وهى تستطيع الآن أن ترعاك وترعى الطفلتين .

ـ لكنى لم أتزوج من (كوثر) .

نظرت إليه بدهشة :

ـ لماذا ؟ كنت أظن ....

قاطعها قائلًا :

ـ أنا أيضًا كنت أظن أنها يمكن أن تصلح أمًا بديلة للبنتين ، لكن الأيام التى تلت رحيلك أكدت لى أنها لا تصلح للقيام بذلك الدور .. لا أنكر أننى قد انبهرت بها .. واندفعت نحوها بمشاعر قوية لرجل حرم من السعادة وأحس بوحدة قاتلة بعد رحيل زوجته ..

لكن ذلك النوع من المشاعر المندفعة لا يصلح أساسًا لزواج ناجح .. إن الأيام التى ابتعدت فيها عنا ، أظهرت لى أننا نكون أحيانًا مخطئين فى الحكم على حقيقة مشاعرنا، وأن الأشخاص الذين اعتدنا على وجودهم معنا .. ومشاركتهم لنا حياتنا .. قد لا نشعر بقيمتهم وأهميتهم الحقيقية لنا ولحياتنا إلا بعد ابتعادهم عنا .. والفراغ الكبير الذى يخلفونه برحيلهم .



استغربت (ميرفت) كلماته هذه .. فتلك هى المرة الأولى التى يحادثها على هذا النحو .

بينما أردف قائلًا :

ـ نعم يا (ميرفت) .. لقد تركت فراغًا كبيرًا .. وأثرًا عميقًا برحيلك .. تضاءلت معه مشاعرى نحو (كوثر) .. ليس بالنسبة للبنتين فقط ولكن بالنسبة لى أيضًا .. وقد شعرنا جميعًا كم نحن بحاجة إليك ، ومدى ما تمثلين من أهمية فى حياتنا .

قالت له وهى مضطربة المشاعر :

ـ (صلاح) .. إن ما تقوله يبدو لى غريبًا .

ـ إنه يبدو غريبًا لى أنا أيضًا .. ويبدو أننى كنت بحاجة إلى أن تبتعدى عنا هذه الأيام .. لكى أكتشف فى نفسى أحاسيس كنت أجهلها نحوك .

ـ إننى أشكرك على هذه المعانى الرقيقة .. ولكن لا داعى لكى تحملها بأكثر مما تستحقه .. فالأمر لا يخرج عن كونه اعتيادًا .. لقد اعتدت على وجودى فى منزلك .. وعندما غادرته ....

قاطعها قائلًا :

ـ كلا يا (ميرفت) .. ليس مجرد اعتياد .. ربما اعتدت فقط أن أتعامل معك بمشاعر باردة رتيبة .. لكنها فى الواقع كانت تخفى مشاعر أقوى كنت أجهلها حتى ابتعدت عنا .. ليست عواطف ملتهبة ومندفعة ، تنطفئ بنفس السرعة التى اشتعلت بها كما كان الأمر بالنسبة لـ (كوثر) .. لكنها مشاعر هادئة أنضجتها السنون وأكدتها الأيام .

كانت هناك موانع كثيرة تحول بينى وبين التصريح لكِ بذلك من قبل : كونى زوج أختك الراحلة .. الأسلوب الذى اعتدت التعامل به معك .. مشاعرى نحو (سلوى) .. أشياء كثيرة .. لن أدعها تحول بينى وبين التعبير عن مشاعرى الآن .. (ميرفت) إننى أحبك وأحتاج إليك بنفس القدر الذى تحتاجه إليك ابنتاى .

حاولت أن تتكلم وقد اهتز كل كيانها من فرط التأثر والانفعال ، لكنها لم تقو على الكلام .

بينما عاد (صلاح) ليسألها قائلًا :

ـ هل تتزوجيننى يا (ميرفت) ؟

بدت وكأنها تهذى وهى تردد قائلة :



ـ إننى .. إننى لا أدرى ماذا أقول لك ؟ إن كل هذا كثير .. كثير جدًا .

ومد لها يده قائلًا :

ـ إن الأمر لايحتاج منك إلا أن تقولى إنك موافقة .. فتحققى السعادة لتلك الأسرة الصغيرة التى تحبك .

حدقت به قائلة :

ـ أكاد أشعر بأن هذا ليس سوى حلم .

ـ أمسكى بيدى لتعرفى أنه حقيقة .. إننا هنا من أجلك ولن نعود إلى المنزل إلا وأنت معنا .

ومدت أصابعها لتلامس أطراف أصابعه وهى ترتجف .. ثم لم تلبث أن أطبقت أصابعه على أصابعها بقوة ، ليؤكد لها أنها لا تحلم .

وتعلقت (رشا) بثوبها فى حين أمسكت (منى) بيدها الأخرى لتعرف أنها تحيا الواقع وأنه ليس حلمًا .. بل حقيقة .. لكنها حقيقية أجمل من كل أحلامها .

★ ★ ★

[ تمت بحمد الله ]

زهور

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

المؤلف



أ. شريف شوق

السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

62

# لا ترحلى

كان يتعين عليها أن
ترحل ، عندما لم يعد لها
مكان بين أولئك الذين أحبتهم ..
برغم قسوة فراقهم على نفسها.
تُرى ما الذى يخفيه لها القدر
بعد رحيلها ؟

الثمن فى مصر ١٥٠ قرشا
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم